مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٢)، العدد (٢)، ص ص ٩٣٥-٩٩٣، (ربيع ثاني ١٤٤٠هـ/ ديسمبر ٢٠١٨)

التحديات الدينية لموريسكي الأندلس في القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م) (دراسة تاريخية)

د. وفاء بنت زبن عبيد الرحيلي
أستاذ التاريخ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

ملخص البحث. مع نهاية العقد الأخير من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي سقطت مملكة غرناطة آخر المعاقل الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. وعلى الرغم من هذا النجاح السياسي الذي حققه الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا إلا أنه كان من الصعب اجتثاث جذور الهوية الإسلامية من نفوس الأندلسيين الذين لم يستطيعوا الهجرة عن موطنهم الذي ولدوا ونشأوا فيه. وكان على المسلمين مواجهة تحديات كبيرة استهدفت عقيدتهم الإسلامية وتراثهم الأندلسي الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية العظيمة.

مع مرور الوقت تعاظمت الروح الصليبية في إسبانيا، واجتهد الأساقفة في البحث عن ثغرات في بنود اتفاقية تسليم غرناطة للحد من حقوق الأندلسيين والتضييق عليهم؛ مما نتج عنه ثورة أندلسي غرناطة عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م التي تم استغلالها لبدء عمليات التنصير وحظر الدين الإسلامي في البلاد. خلال هذه الفترة ظهر المجتمع الموريسكي الذي أعلن اعتناقه للدين النصراني رسمياً ولكن أخفى إسلامه.

واجه الموريسكيون تحديات دينية للحيلولة بينهم وبين ممارسة الشعائر الإسلامية ومارست عليهم محاكم التحقيق (التفتيش) صنوف المراقبة والعقوبات للحد من ذلك. إلا أنهم اتبعوا عدد من الوسائل لمواجهة تلك التحديات مما حدا بالسلطات الإسبانية إلى البدء بتهجيرهم قسرياً من إسبانيا عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م لفشلهم في تحويل الموريسكيين إلى نصارى حقيقيين.

المقدمة

الحضارة العربية الإسلامية أبرز حضارة شهدها العالم خلال فترة العصور الوسطى، ويرجع السر في ازدهارها إلى روح التسامح التي عُرف بها المسلمون. وبمثل هذه الروح فتح المسلمون أبواب الأندلس في وجه النصارى واليهود ليعيشوا فيها آمنين. وأصبحت الأندلس أنموذجاً بارزاً للتسامح الديني خلال تاريخها الإسلامي، وبدت ملامحه ظاهرة للعيان منذ فتح الأندلس عام ٩٢هـ/٧١١م، ومن أولى المعاهدات التي تمت بين المسلمين وبين أهل البلاد النصارى وثيقة الصلح مع أهالي كورة تدمير ٩٤هـ/ ٧١٣م والتي ضمنت لهم الأمان على النفس والعرض وحرية إقامة شعائرهم الدينية مقابل دفع الجزية[١].

لقد امتد نشاط الفتوحات الإسلامية لجميع أرجاء شبه الجزيرة الإيبيرية حتى تمكن المسلمون من السيطرة عليها بشكل كامل باستثناء المنطقة الجبلية الوعرة في الركن الشمالي الغربي[٢] والتي أصبحت فيما بعد نواة لتكوين دول اسبانية معادية للوجود الإسلامي الذي استقر في شبه الجزيرة الإيبيرية ثمانية قرون من الزمان (٩٢هـ -٨٩٧هـ /٧١١م - ١٤٩٢م) والذي تقلص مع الوقت حتى اقتصر على الطرف الجنوبي منها متمثلاً في مملكة غرناطة (٦٣٥هـ/١٢٣٨م - ٨٩٧هـ/١٤٩٢م) التي تمكنت من مقاومة الهجوم

---

(١) العذري، أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ) : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م، ص٤-٥.

(٢) يقصد بها جليقية واشتوريس. (انظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ) : معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م،ج ٢، ص١٥٧؛ المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م، ج٤، ص٣٥٠؛عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م، ج١، ص ٢٩؛ السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، طرابلس، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م، ص٤٧).

النصراني عليها ما يزيد عن قرنين ونصف من الزمان إلى أن سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين فيرناندو الخامس ملك أراجون و إيزابيلا ملكة قشتالة.

ويعد سقوط غرناطة في عام٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م نهايةً للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية. ومع ذلك فإنه ظل في تلك الأراضي بعض المسلمين الذين لم يستطيعوا الهجرة عن موطنهم الذي ولدوا ونشأوا فيه. عاش هؤلاء المسلمون أوقات عصيبة على مختلف الأصعدة. لذا تنبع أهمية الدراسة من إبرازها للمعاناة الدينية التي لحقت بالمسلمين في إسبانيا بعد نهاية دولة الإسلام بها. وكشف الغموض عن وسائلهم في سبيل تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوسهم. بالإضافة إلى تبيان للروح الصليبية التي واجهها المسلمون من خلال سياسية التنصير القسري وقرارات محاكم التفتيش الجائرة.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالموريسكيين وتسليط الضوء على الظروف التاريخية التي مهدت لظهورهم. وأيضاً إبراز التحديات الدينية التي واجهتهم في سبيل تعلم وتطبيق الشريعة الإسلامية. كما هدفت الدراسة إلى الكشف عن الوسائل التي اتبعها الموريسكيين للتغلب على تلك التحديات في وسط البيئة الإسبانية المعادية لهم.

ولقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الإسترادادي القائم على استقصاء المعلومات والوقائع الماضية من المصادر الأولية، وتحليلها ومقارنتها وتركيبها للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

وانطلق البحث من أسئلة محورية منها:

١ - متى بدأت حركة الاسترداد النصراني؟ وكيف انتهت؟

٢ - هل كانت حركة الاسترداد النصراني حرباً صليبية على الأندلس؟

٣ - ما الفرق بين المدجنين والموريسكيين؟

٤ -كيف تمكن الموريسكيون من مواجهة التحديات الدينية ضدهم؟

٥ - هل تعتبر غرناطة نقطة تحول في تاريخ الإسلام في الأندلس؟

لذا تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين أساسين يعالج المبحث الأول الإرهاصات التاريخية المبكرة التي أدت لظهور هذه الجماعة التي عُرفت في التاريخ بالموريسكيين من خلال التتبع التاريخي لمسار حركة الاسترداد النصراني لأراضي شبه الجزيرة الإيبيرية. والمبحث الثاني يتناول التحديات الدينية التي واجهت الموريسكيون وكيفية التغلب عليها، وختمت الدراسة بخلاصة احتوت على أهم النتائج.

المبحث الأول: حركة الاسترداد النصراني وأثرها في ظهور الموريسكيون

أ) حركة الاسترداد النصراني

أُطلقت حركة الاسترداد النصراني في شبه الجزيرة الإيبيرية (La Reconquista) على جميع العمليات العسكرية التي نفذها ملوك الممالك النصرانية الموجودة في شمال إسبانيا على الأراضي الإسلامية؛ بقصد القضاء على الحكم الإسلامي في المنطقة[٣].

نشطت هذه الحركة عام ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م عندما دعا البابا أوربان الثاني الشعوب النصرانية إلى مساعدة الإسبان في حروبهم ضد المسلمين في الأندلس. كما أصدر مرسوماً حرم فيه على الإسبان المشاركة في الحروب الصليبية على المشرق،

(٣) رمضان، عبد المحسن طه: الحروب الصليبية في الأندلس ميلادها وتطورها حتى القرن العاشر مع دراسة نقدية لمصادرها العربية والإسبانية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١م، ص ١٦؛ أحمد، علي: "ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها"،المغرب، التاريخ العربي (العدد٢١، السنة ٢٠٠٢م) ، ص١٦١.

وذلك للتأكيد على أهمية تواجد الإسبان في شبه الجزيرة الإيبيرية لمحاربة المسلمين فيها[٤] ولتكون حرباً صليبية أخرى على الأندلس.

ومن أبرز الممالك النصرانية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي مملكة البرتغال[٥]، ومملكة قشتالة[٦]، ومملكة أراجون[٧]. وكل من هذه الممالك سعت إلى الاقتطاع من الأراضي الإسلامية المجاورة لها كامتداد طبيعي لحدودها الجغرافية.

---

(٤) المطوي، محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م، ص١٩٠.

(٥) البرتغال (Portugal) تقع في جنوب غرب شبة الجزيرة الإيبيرية. وكانت تُعرف بمنطقة (لوزيتانيا) و عاصمتها مدينة بورتو (برتقال) كما يسميها العرب. كانت في بداية الأمر كونتية صغيرة تابعة للملك فرديناند اول ملك قشتالة وليون(١٠٣٥-١٠٦٥م/ ٤٢٦-٤٥٧هـ) . وفي عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م تم عقد اتفاق في (سمورة) معملك قشتالة الفونسو السابع مُنح من خلالها الفونسو هنريكزلقب ملك على البرتغال. (انظر: النشار، محمد محمود: تأسيس مملكة البرتغال، مصر، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م، ص٣٣، ٦٢ هامش ١، ٩٨) .

(٦) قشتالة (Castilla) إقليم واسع يقع بين جبال استورياس في الشمال ومملكة أراجون من الشرق والأندلس الإسلامية من الجنوب وإقليم ليون من الغرب. وتكونت في الأراضي التي نجح النصارى من استردادها من المسلمين وأسسوا فيها قلاع وحصون. وأصبحت مملكة مستقلة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأول ملوكها هو فرديناند الأول بن سانشو الكبير (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) . (انظر: ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك(ق٦هـ/١٢م) : تاريخ الأندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء) ، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م، ص ٧٤-٧٧؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) : اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م، ق٢، ص٣٢٨-٣٢٩؛ أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص١١) .

(٧) أراجون(Aragon) تأسست على يد ملك سانشو الكبير Sancho (ت٤٢٦هـ/١٠٣٥م) وقد قام قُبيل وفاته بتقسيم مملكته الواسعة بين أبنائه الأربعة، وكانت أراجون الواقعة جنوب جبال البرنيه من نصيب ابنه الغير شرعي راميرو الأول (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) .(انظر: اشباخ: تاريخ الأندلس، ج١، ص١٢؛ عنان:دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص٣٧٨) .

فمملكة البرتغال قصرت جهودها الحربية على الشريط الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية[٨] بحيث استولت على مدينة قصر أبي دانس عام ٥٥٣هـ/١١٥٨م[٩]، ومدينة باجة عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م[١٠]، ومدينة يابرة عام ٥٦١هـ/١١٦٦م[١١]، وشلب عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[١٢]، وغيرها من المدن الأندلسية الغربية.

---

(٨) عنان:دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص ٨٨.

(٩) قصر أبي دانس (Alcacer do sal)مدينة في غرب الأندلس تقع بين مدينتي لشبونة وباجة. وهي حالياً من مدن البرتغال ومعنى اسمهاAlcacer do sal قصر الملح، وقد نُسبت إلى بنو دانس بن عوسجة وهم من قبيلة مصمودة المغربية. (انظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ) : جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، ص٥٠١ ؛ ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ) : الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ج٢، ص ٢٧٢، هامش رقم١؛ النشار: تأسيس مملكة البرتغال، ص ١٧٢) .

(١٠) باجة (Beja) تقع في الجنوب الشرقي للأندلس. وهي حالياً مدينة برتغالية تمتد على مساحة ١,١٤٧,١ كم٢ و يقطنها ٣٥,٨٥٤ ساكن حسب إحصائيا م٢٠١١. مشهورة قديماً بمناعتها ، وسماها يوليوس قيصر بهذا الإسم ومعناه الصلح. نزلها جند مصر بعد الفتح الإسلامي.(انظر: الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ) :صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٦؛ النشار: تأسيس مملكة البرتغال، ص١٧٣؛ موسوعة ويكيبيديا: باجة_(البرتغال) https://ar.wikipedia.org/wiki).

(١١) يابرة (Évora) تقع في جنوب البرتغال وتبعد عن لشبونة ١٤٠ كيلومترا. كانت أثناء الحكم الإسلامي تابعة لإقليم باجة، وتدعى أيضاً (يبورة) ، وهي مدينة كبيرة خصبة مزدهرة اقتصادياً.(انظر: الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ) :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٥٤٤ –٥٤٥؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٧؛ النشار: تأسيس مملكة البرتغال، ص ١٧٥؛ موسوعة ويكيبيديا: يابرة/https://ar.wikipedia.org/wiki).

(١٢) شلب (Silves) مدينة تقع الآن في جنوب البرتغال وعدد سكانها ٣٣,٨٨٠ نسمة، وتبعد عن المحيط الأطلسي بثلاثة أميال. وأغلب سكانها في العهد الإسلامي من القبائل اليمنية وعُرفوا بفصاحتهم ونظمهم للشعر. (انظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٦؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ٢٨٨؛ موسوعة ويكيبيديا:شلب/https://ar.wikipedia.org/wiki).

أما مملكة أراجون فقد كثفت جهودها في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة حيث سيطرت على وشقة عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م[١٣]، وبربشتر عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م[١٤]، وسرقسطة[١٥]، وتطلية،[١٦] وطرسونة[١٧] عام ٥١٢هـ/١١١٩م، وطركونة[١٨]، وقلعة وقلعة أيوب عام ٥١٣هـ/١١٢٠م[١٩].

(١٣) وشقة (Huesca) تقع في شمال شرق اسبانيا. كانت مدينة منيعة يحيط بها سوران من الحجر، لم يتمكن المسلمون من فتحها بسهولة حيث حاصروها لمدة سبع سنوات، وعندما طال الحصار على سكانها النصارى طلبوا الأمان ودخلها المسلمون. وهي مدينة خصبة يجري بها نهر يسقي مائة بستان بداخلها.(انظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٤-١٩٥).

(١٤) بربشتر (Barbastro) : مدينة حصينة تقع على نهر كبير يدعى (ابرو Ebro) وتبعد عن سرقسطة ٦٠ كليومتراً. (انظر: ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص٧٢ هامش ٦؛الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٠).

(١٥) سرقسطة (Zaragoza) مدينة في شمال شرق بلاد الأندلس. يمر بها نهر (ابروEbro) وسُميت بالمدينة البيضاء لكثرة الجير الأبيض فيها. اشتهرت بصناعة ثياب رقيقة عُرفت بالسرقسطية. (انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، ص٥٥٤؛ الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٢١٣).

(١٦) تطلية (Tudela) مدينة صغيرة تقع في شمال شرق الأندلس وتبعد عن طرسونة ١٢ميلاً. كانت مزدحمة سكانياً في العصر الإسلامي بسبب اتساعها وخصوبتها.(انظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٣).

(١٧) طرسونة (Tarazona) مدينة تقع في شمال شرقي الأندلس بالقرب من سرقسطة وتطلية. كانت قاعدة لقواد الجيش الإسلامي. (انظر: الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٩).

(١٨) طركونة (Tarrgona) تقع على ساحل البحر المتوسط في شمال شرق الأندلس. وتبعد عن برشلونة بستين ميلاً. وعُرفت في العصر الإسلامي بمناعتها وأبراجها الحصينة ولها سور من الرخام الأبيض والأسود، وكان أكثر سكانها من اليهود.(انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، ص٥٥٥؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٥-١٢٦).

(١٩) قلعة أيوب (Calatayud) مدينة معروفة بمناعتها وتربتها الخصبة ورخص أسواقها وتقع بالقرب من مدينة سالم. ويقال أنها منسوبة إلى والي الأندلس في عهد الخلافة الأموية أيوب بن حبيب اللخمي(٩٧هـ/٧١٦م) وهو ابن أخت موسى بن نصير.(انظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٣؛ أرسلان، شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي،د.ت، ج٢، ص٩٣؛ صالح، نادية مرسي: العلاقات الإسلامية المسيحية في إسبانيا عهد الملك ألفونسو الأول، مصر، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م، ص ٣٣٦) .

وبالنسبة لمملكة قشتالة فقد سعت إلى مد نفوذها من الوسط إلى الجنوب، وكان نجاحها في الاستيلاء على مدينة طليطلة عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م من أبرز انتصاراتها المبكرة. وفي كثير من الأحيان تصادمت أطماع مملكة أرجون مع الأهداف التوسعية لمملكة قشتالة ولتنظيم النطاق الجغرافي للعمليات العسكرية لكلٍ من مملكتي قشتالة وأراجون في الأراضي الإسلامية الأندلسية ومنعاً للتنازع، فقد تم عقد عدة معاهدات بين الطرفين من أجل هذا الهدف، من أهمها معاهدتي تطلية عام ٥٤٥هـ/ ١١٥١م[٢٠]، ومعاهدة كاسورلا عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م[٢١].

وبناءً على ذلك سيطرت مملكة قشتالة على قرطبة عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، ومدينة اشبيلية عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م والمدن المجاورة لها. ومدت مملكة أراجون نفوذها

(٢٠) معاهدة تطلية (Tudellen) عام ٥٤٥هـ/ ١١٥١م كانت بين ملك أراجون ريموند برنجير الرابع وملك قشتالة ألفونسو السابع وتم الاتفاق فيها على تقسيم الأراضي الإسلامية فيما بينهما بغرض التوسع العسكري بحيث تكون مدينتي مرسية وبلنسية مع كل الأراضي التي تقع على نهر شقر حتى حدود مدينة طرطوشة من نصيب ملك أراجون ولكن بشرط أن تخضع اقطاعياً لملك قشتالة بحسب المساعدة التي سيقدمها له. وأن تكون باقي بلاد الأندلس هي المجال الجغرافي لتوسع مملكة قشتالة. (انظر: أبو رميلة، هشام سليم:علاقة الموحدين بالممالك النصرانية وبالدول الإسلامية في الأندلس، عمان، دار الفرقان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤، ص١٠٩؛ الرحيلي،وفاء:"تاريخ مدينة بلنسية السياسي من عهد المرابطين حتى سقوطها في يد النصارى ٤٩٥-٦٣٦هـ/١١٠٢-١٢٣٨م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة،٢٠٠٤م ص١٣٩) .

(٢١) معاهدة كاسورلا (Casorla) عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م كانت بين مملكتي قشتالة وأراجون، ونصت على أن يكون لملك أراجون الحق في غزو الأراضي الإسلامية من إقليم بلنسية شمالاً حتى مدينة دانية وبيار جنوباً، أما ماعدا ذلك من الأراضي الإسلامية فهي من نصيب التوسع العسكري القشتالي. (انظر: الرحيلي:تاريخ مدينة بلنسية السياسي، ص ١٧٩) .

إلى مدينة بلنسية عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م، ومدينة جزيرة شُقر[٢٢]عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤٠م، ومدينة دانية عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م، ومدينة جيان عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، ومدينة شاطبة عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، ومدينة مرسية عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م[٢٣].

وبتزايد سقوط القواعد الأندلسية في يد الممالك النصرانية منذ أوائل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي؛ كان معظم المسلمون يفرون منها إلى جنوب الأندلس، حيث المدن التي استطاعت المحافظة على سيادتها وهويتها الإسلامية في ظل نشاط حركة الاسترداد النصراني للأراضي الإسلامية، ومع ذلك نجد عدد من المسلمين لم يتمكنوا من الرحيل عن مدنهم وبقوا فيها تحت الحكم النصراني الجديد[٢٤].هؤلاء عرفوا بالمدجنين وفي اللغة الإسبانية (Mudejares) ويقصد بهم المسلمون الذين بقوا تحت الحكم النصراني مع الاحتفاظ بدينهم مقابل أداء ضريبة للملك النصراني[٢٥].

(٢٢) جزيرة شُقر (Jucar)مدينة في شرق الأندلس تقع بين مدينتي بلنسية وشاطبة. وسُميت بالجزيرة لأن "وادي شقر" يحيط بها من جميع الجهات بإستثناء موضع صغير يكون الدخول منه إلى المدينة أثناء الشتاء على المراكب.(انظر: العذري: ترصيع الأخبار،ص١٩؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٢-١٠٣) .

(٢٣) السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٩٠-٢٩١.

(٢٤) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص ٥٦؛ الحجي، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م، دمشق، دار القلم، ١٩٩٧م، ص٤٨٣.

(٢٥) دُوزِي، رينهارت بيتر: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، العراق، وزارة الثقافة والإعلام،١٩٧٩م، ج٤، ص٢٩٧.

وبالنظر إلى المعاني المختلفة لكلمة "المدجنين"[٢٦] نجد أنها مناسبة لوضع هؤلاء المسلمين الذين كان عليهم أن يألفوا الحكم النصراني الجديد وأنظمته التي تتحكم بأرزاقهم، وأن يتعاملوا بالحسنى مع السكان النصارى الذين أصبحوا الأسياد الجدد لتلك الأرض.كان المدجنون أقلية مُعترف بهويتهم الإسلامية في الممالك النصرانية الإسبانية في تلك الفترة التاريخية المبكرة من نشأتهم، ويكثرون في شرقي الأندلس وخاصة في مدينتي بلنسية ومرسية مقارنة بأعدادهم في المدن الأندلسية الأخرى[٢٧]. وكان اعتراف المجتمع النصراني بهم نابع من الفوائد الاقتصادية التي يجنيها من وراء احتوائهم الاجتماعي حيث أنهم كانوا يشكلون قوة بشرية كبيرة من اليد العاملة ذات مهارات حرفية عالية وخبرات زراعية مُنتجة[٢٨].

(٢٦) أصل كلمة مدجن من كلمة دجن ولها عدة معانٍ، ومنها المعنى التالي: وَقَدْ أَدْجَن يومُنا وادْجَوْجن، فَهُوَ مُدْجن إذا أَضَبَّ فأَظلم"،فكأن المسلمين في ديارهم بعد سيطرة النصارى عليهم يعيشون في ظلام بعد نور الحكم الإسلامي. ومن معاني كلمة دجن كذلك الْمُدَاجَنَةُ وهي المخالطة الحسنة. وايضاً داجِن تعني الشَّاةوالطيور ونحوه ممن تألف العيش في البيوت وتعتاد على إطعام الناس لها. (انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ) : لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، ج١٣، ص ١٤٧) ، وأيضاً عُرفوا كذلك بـ (Mauri Pacis) أي المسلمون المستأمنون؛ و(Mauri Regis) وتعني المسلمون التابعون للملك. (انظر: كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن: القطوفالدواني في التاريخ الإسباني، مصر، الناشر المؤلف،١٩٩٨م، ص ٢١٣) .

(٢٧) عنان:دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص ٥٦.

(٢٨) هورتز، أنطونيو دومينقير و برنارد بنشنت: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ترجمة عبد العال صالح طه، الدوحة دار الإشراق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٢٣-١٢٩، ١٣٢-١٣٥، ٢٢٦-٢٣٣؛ بشتاوي، عادل سعيد: الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، القاهرة، الناشر المؤلف، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٩٣-١٩٧؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص٣١٢.

ب) مملكة غرناطة

وفي منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وفي ظل انكماش رقعة الدولة الإسلامية في الأندلس؛ نشأت مملكة غرناطة والتي عُرفت كذلك بالدولة النصرية وبدولة بني الأحمر(٢٩)؛ التي تمكنت من توطيد أركانها في الجزء الجنوبي من شبة الجزيرة الإيبيرية؛ حيث امتدت فيما وراء نهر الوادي الكبير إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق جنوباً، ويحدها من الشمال جيّان وقرطبة وإشبيلية، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط الممتد منها إلى الجنوب، ومن الغرب قادس. وكانت تشتمل عندئذ على ثلاث ولايات كبيرة، وهي ولاية المرية في الشرق وولاية غرناطة في الوسط، وولاية مالقة في غربها(٣٠).

كانت مملكة غرناطة مزدحمة بالسكان؛ ويرجع السبب في ذلك إلى نزوح معظم سكان المدن الإسلامية التي سقطت في يد النصارى إليها هرباً من الحكم النصراني.

---

(٢٩) مؤسس الدولةهو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي (٥٩١هـ/ ١١٩٥م-٦٧١هـ/ ١٢٧٢نشأ في حصن"أرجونة"بالقرب من قرطبة، وبني نصر أو بنو الأحمر إحدى قبائل الخزرج التي سكنت المدينة المنورة قبل الإسلام، وينسبون إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة سيد الخزرج. ظهر محمد بن يوسف الملقب بالشيخ في وقت ضعف الدولة الموحدية في الأندلس، تميز بالشجاعة ومجاهدة العدو، بايعه الناس بالحكم في "أرجونة" في عام ٦٢٩هـ /١٢٣٢م ثم دخلت في طاعته جميع الأجزاء الجنوبية من بلاد الأندلس. توفي عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م بعد أن أخذ البيعة لولده محمد؛ فأقر بذلك مبدأ الملكية الوراثية في نظام الحكم. (انظر: ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ) : الإحاطة في أخبار غرناطة، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢٤ هـ، ج٢، ص ٥١؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م، ج٤، ص ٢١٨) .

(٣٠) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص ٣٨.

فتجمعت فيها نخبة كبيرة من رجال الحرب والعلماء والصنَّاع الذين ساهموا في ثبات غرناطة أمام الزحف النصراني في إسبانيا لمدة مائتين وخمسين عاماً[٣١].

كان نظام الحكم في مملكة غرناطة وراثياً في أسرة بني نصر، تعاقب على حكمها عشرين أميراً منهم، تولى بعضهم الحكم أكثر من مرة، وعُرفوا بلقب ((أمير المسلمين))، وكان شعار الدولة ((لا غالب إلا الله))[٣٢].

بدت ملامح انهيار مملكة غرناطة واضحة للعيان بنشأة الصراع الداخلي فيها بين الأمير أبي عبد الله الصغير[٣٣] وعمه أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل[٣٤]. حيث نجح جيش الملكين[٣٥]فرناندو ملك أراجون(ت٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)[٣٦] وإيزابيلا ملكة قشتالة (ت٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)[٣٧] في أسر أمير غرناطة أبو عبد الله الصغير أثناء

---

(٣١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص٤٤٠.

(٣٢) الحجي: التاريخ الأندلسي، ص٥٦٢-٥٦٣.

(٣٣) هو محمد بن أبي الحسن علي بن سعد بن علي بن يوسف النصري (ت٩٤٠ هـ/ ١٥٣٤م) أمه بنت السلطان أبي عبد الله الأيسر. (انظر: المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٥١٢) .

(٣٤) هو محمد بن سعد بن يوسف النصري الملقب بـ "الزغل" وهي تعني الشجاع. كان والياً على مالقة. رحل عن الأندلس عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م إلى تلمسان. عُرفت سلالته بها ببني سلطان الأندلس. (انظر: المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٤؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص١٩٢) .

(٣٥) تم إعلانهما ملكين لقشتالة في سنة٨٨٣هـ/١٤٧٩م. (انظر: رستن، جيمس: محاكم التفتيش في إسبانيا وسقوط الأندلس واكتشاف كلومبس لأمريكة، تعريب مُجير العمري، الرياض، دار السيد للنشر والتوزيع،٢٠٠٩م، ص ١٠٤-١٠٥؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص ١٩١) .

(٣٦) ابن ملك أراجون خوان الثاني ابن فرناندو الأول (ت٨٨٤هـ/١٤٧٩م) . تنازل له والده عن عرش أراجون وعُرف بـ فرناندو الخامس، تزوج من ملكة قشتالة ايزابيلا عام٨٧٤هـ/١٤٦٩م. وبعد عشر سنوات من زواجهما تم الاتفاق على اتحاد المملكتين. (انظر: عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص ١٧٥) .

(٣٧) ابنة ملك قشتالة خوان الثاني ابن هنري الثالث "إنريكى"(ت٨٥٨هـ/ ١٤٥٤ م) وأمها أميرة برتغالية تدعى إيسابيلا، تولت عرش قشتالة وليون بعد موت أخيها هنري الرابع ملك قشتالةفي سنة٨٧٨هـ/ ١٤٧٤م. (انظر: عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص ١٧٨- ١٨٠) .

غزوة الليسانة عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، مما نتج عنه تولي عمه أبو عبد الله الزغل عرش غرناطة وإدارة حكمها [٣٨].

ولقد تعاظمت الروح الصليبية لدى الاسبان عندما منح البابا سكستوس الرابع عام٨٨٨هـ/١٤٨٣م مباركته للحروب التي يشنها الملكان ضد المسلمين في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، ولم يقتصر دعم البابا لهما على الجانب المعنوي فقط بل فرض على أساقفة الكنيسة مبالغ مالية لتمويل الحرب، بالإضافة إلى منحه للغفران لكل من يساهم بالتمويل[٣٩].

وفي أواخر عام ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م عقد ملكي قشتالة معاهدة مع أبي عبد الله الصغير تعهد فيها بدفع جزية سنوية لقشتالة، وإطلاق أربعمائة من أسرى النصارى بالإضافة إلى شروط أخرى في مقابل الإفراج عنه، منها أنه إذا تمكن أبو عبد الله الصغير من الوصول إلى سدة الحكم في غرناطة أن يكون تابعاً لملك قشتالة[٤٠]. نتج عن إطلاق سراح أبو عبد الله الصغير صراع بينه وبين عمه الزغل على حكم المملكة، أدى إلى انقسامها إلى شطرين وإضعافها أكثر أمام مملكة قشتالة. مع مرور الوقت شعر أبو عبد الله الزغل بضعف موقفه وخيانة أنصاره له، فقرر الانضواء تحت حماية ملكي قشتالة وعقد معاهده معهما عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م تنص على عدد من التنازلات،

(٣٨) مؤلف مجهول: نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر وهو كتاب آخر أيام غرناطة، تحقيق محمد رضوان الداية، دمشق، دار حسان، ١٤٠٤هـ، ص٦٥؛السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) : وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ج٣، ص١١٤٧.

(٣٩) رستن: محاكم التفتيش ، ص ١١٠-١١١.

(٤٠) مؤلف مجهول: نبذة العصر، ص ٧٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص ٢٠٥؛ كارباخال، مارمول: وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر ومراجعة جمال عبد الرحمن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م، ج١، ص ٨٨-٨٩؛ رستن: محاكم التفتيش ، ص ١٢٦.

ولكن بعد فترة قصيرة شعر أبو عبد الله الزغل أنه لا يمكنه العيش في الأندلس بعد هذه الاتفاقية المهينة، فتنازل عن الامتيازات التي أعطاه لها ملكيّ قشتالة وهاجر إلى تلمسان وعاش فيها ما تبقى له من عمره ومات بها[٤١].

بعد خضوع معظم الأراضي الإسلامية لسيطرة مملكة قشتالة لم يتبق لها سوى مدينة غرناطة. وعلى ذلك فقد قاما ملكيّ قشتالة بتخريب الأراضي التي حولها وأرسلا رسولاً إلى أبي عبد الله الصغير يطلبون منه تسليم غرناطة وفق شروط يرضى عنها الطرفين. وعندما رفض أبو عبد الله الصغير ذلك؛ قام الجيش القشتالي بحصار مدينة غرناطة عام ٨٩٧ هـ/١٤٩١م، وأقاموا معسكر للجيش النصراني تحول فيما بعد إلى مدينة سُميت بـ "سانتافي"[٤٢].

استمر الحصار سبعة أشهر، عانى خلالها سكان غرناطة من الجوع والمرض بالإضافة إلى الغارات القشتالية المتكررة لدخول المدينة. وعلى أثر ذلك اجتمع أبو عبد الله الصغير مع وزرائه وأعيان المدينة وتوصلوا إلى ضرورة إنهاء هذه المعاناة عن طريق تسليم غرناطة لملكي قشتالة وفق شروط تكفل لهم حقوقهم المشروعة في حياة كريمة. وتم التوقيع على معاهدة التسليم في ٢٢ صفر٨٩٧هـ الموافق ٢٥ ديسمبر١٤٩١م، ومن أهم ما ورد فيها: أن يتعهد فرناندو ملك أراجون وإيزابيلا ملكة قشتالة بإطلاق سراح الأسرى المسلمين في قشتالة. وأن يتم تأمين المسلمين على أنفسهم وأموالهم

(٤١) مؤلف مجهول: نبذة العصر، ص٩٩ – ١١٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص٢٢٧؛ الشطشاط، علي حسين: نهاية الوجود العربي في الأندلس، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١م، ص٦٤-٦٥؛ كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص١٠٦- ١٠٧؛ رستن: محاكم التفتيش، ص٢٦١، ٢٦٥.

(٤٢) الملكة إيزابيلاهي التي أطلقت على المعسكر هذا الاسم وتعني الإيمان المقدس إشارة إلى الروح الصليبية المتقدة في تلك الحرب. (انظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص٢٣٦؛ رستن: محاكم التفتيش ، ص ٢٦٨) .

وأعراضهم. وأن تكفل لهم هذه المعاهد حرية الدين وإقامة الشعائر الإسلامية والحفاظ على المساجد والأوقاف. والسماح لهم بالاحتفاظ بقضائهم الإسلامي ونظمهم ولكن بإشراف حاكم إسباني.ونصت المعاهدة أيضاً ألا يدخل نصراني في مسجد أو دار مسلم. والسماح للمسلمين بالتجول في الأراضي النصرانية آمنين، وأن لا يجبروا على حمل علامة تميزهم عن غيرهم. وأن تعامل السلطات النصرانية المسلمين بالرفق والعدل. وأن لا يرغموهم على التنصر. كما احتوت المعاهدة على الإذن لمن يرغب من المسلمين أن يهاجر إلى أفريقيا الإبحار بسفن الملكان بدون مقابل لمدة ثلاث سنوات. وطالب وفد غرناطة موافقة البابا على هذه الوثيقة لضمان تنفيذ ما فيها(٤٣).

ولتأكيد هذه الاتفاقية قدم أبو عبد الله الصغير خمسمائة من أعيان غرناطة رهائن، كما تم منحه ضياعاً في منطقة البشرات لينتقل إليها، وفي المقابل أقسم ملكي قشتالة على وثيقة التسليم ليطمئن الغرناطيون إليها. وعلى ذلك دخل القشتاليون غرناطة وتسلموا مفتاح المدينة من أبي عبد الله الصغير في الثاني من ربيع الأول عام ٨٩٧هـ/ الثاني من يناير عام ١٤٩٢م. وتم رفع صليب فضي كبير فوق برج الحمراء وبجواره علم قشتالة وعلم القديس يعقوب (شنت ياقب)(٤٤)، وعلى أثر ذلك خرج

(٤٣) مؤلف مجهول: نبذة العصر ، ص ١٢٠-١٢٤؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٥- ٥٢٨؛ عنان:دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص ٢٤٥-٢٥٣.

(٤٤) القديس يعقوب Santiago)) هو أحد حواري عيسى عليه السلام، تجول في شبه الجزيرة الإيبيرية للدعوة لدين النصراني ثم عاد إلى فلسطين حيث صلبه الملك هيرود Herud. ولقد تمكن أحد تلامذته من نقل جثمانه إلى إسبانيا ومن ثم بنوا كنيسة عند قبره. ادعى النصارى أن القديس يعقوب يحارب معهم ضد المسلمين ويبشرهم بالإنتصار. (انظر:رمضان: الحروب الصليبية، ص٤١٩؛ عبد الحليم، رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني امية وملوك الطوائف، القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ت، ص١٢٠-١٢٣) .

أبو عبد الله الصغير من غرناطة إلى منطقة البُشَرات[٤٥]، ثم دخل الملكان فرناندو وإيزابيلا قصر الحمراء[٤٦].

احترم الملكان شروط التسليم في بادئ الأمر وأمروا بمعاملة المسلمين معاملة حسنة مما أدى إلى غيرة السكان النصارى من ذلك، يقول مؤرخ[٤٧]معاصر للأحداث "حتى كان النصارى يغيرون منهم ويحسدونهم ويقولون لهم أنتم الآن عند ملكنا أعز وأكرم منا".

ج) الموريسكيون

نتج عن سياسة الملكان السلمية لمسلمي الأندلس أن ظهر بينهم من يرى أنه لا مانع في التدجن والبقاء في الأندلس تحت الحكم النصراني ؛ ولعل ما حدث في بلاد المغرب في تلك الفترة من مجاعة ووباء ثبط عزيمة الكثير في الهجرة إلى المغرب، إلا أن هناك فئة لم تأمن غدر الملكان فباعت أمتعتها وهاجرت[٤٨].

تطلع الملكان إلى إخراج أبو عبد الله الصغير المقيم في منطقة البشرات من شبة الجزيرة الإيبيرية لما يشكله من أهمية سياسية وتاريخية للسيادة العربية الإسلامية في الأندلس سابقاً. وبعد مفاوضات وقع أبو عبد الله الصغير عام ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٣م اتفاقيه معهما تنص على مغادرته الأندلس إلى بلاد المغرب. ولقد حفز خروجه عدداً

---

(٤٥) البُشَرات أو البشارات(Alpujarras) تابعة لكورة البيرة الواقعة في جنوب شرق الأندلس. و البُشَرات منطقة جبال سيرا نفادا (Sierra Nevada) . (انظر:ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف،القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م،ج٢، ص ١٣١؛المقري: نفح الطيب، ج٤،ص١٤١ هامش رقم ١؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج٥، ص ٥٥) .

(٤٦) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٥– ٥٢٨؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص٢٥٧ –٢٥٨؛ السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٠٠.

(٤٧) مؤلف مجهول: نبذة العصر ، ص ١٢٧.

(٤٨) مؤلف مجهول: نبذة العصر ، ص١٢٩.

من مسلمي الأندلس للهجرة إلى المغرب، فهاجر في تلك السنة ما يقارب من ١١٣٢ شخص(٤٩).

مع الوقت ضعفت سياسة التسامح تجاه المسلمين، ونقض الملكان شروط التسليم شرطاً بعد الآخر إلى أن نقضا جميعها، وانتهى الأمر بالمسلمين إلى أحد أمرين إما التنصير أو التهجير وكلاهما قسريان.

من هنا ظهر مصطلح الموريسكيون " "Moriscosوهو الاسم الذي يطلق على المسلمين الذين اعتنقوا النصرانية عن طيب خاطر أو كرهاً منذ سقوط غرناطة عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م حتى طردهم من إسبانيا في ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م، وتركزت إقامتهم في أربع مناطق في شبه الجزيرة الإيبيرية وهي بلنسية وأراجون وغرناطة وقشتالة(٥٠).

كما ذكر أحد الباحثين(٥١)أن كلمة موريسكيون مشتقة من مصطلح مورو"moro" وهي تحريف لكلمة لاتينية الأصل "maurus" ويقصد بها سكان موريتانيا الافريقية التي كانت مقاطعة رومانية قديمة تضم شمال غرب افريقيا. ولعل السبب في ذلك أن الموريسكيين من نسل مزيج من القبائل العربية والبربرية التي قدمت إلى شبه الجزيرة الإيبيرية عن طريق مضيق جبل طارق الذي يُعد حلقة الوصل بين افريقيا وشبه الجزيرة الإيبيرية كما أنها هاجرت في معظمها من نفس الطريق.

وهكذا نجد أن الفرق بين مصطلحي المدجنين والموريسكيين يكمن في أن المدجن كان يُسمح له أن يبقى على الدين الإسلامي مع الالتزام بقوانين الدولة النصرانية

---

(٤٩) مؤلف مجهول: نبذة العصر، ص ١٣٦؛ الكتاني، علي بن محمد المنتصر بالله: انبعاث الإسلام في الأندلس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م، ص ٥٩-٦٠.

(٥٠) Luis F. Bernabe Pons: Los Moriscos. Conflicto, Expulsion y diaspora, Madrid, Los Libros de la Catarata, 2009, p.4.

(٥١) Mariana Kalaitzidou:Traslados y expulsions. Piezas que salieron y moriscos que no regresaron, Granada, Escuela de Estudios Árabes, 2009, p.7.

الحاكمة، وكان مُعترفاً بهم إلى سقوط غرناطة عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. أما المصطلح الآخر ظهر بعد سقوط غرناطة وانتشر بعد فرض التنصير القسري عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م على جميع مسلمي الأندلس ولم يُسمح بعدها بالتدجن.

المبحث الثاني: الموريسكيون: ما بين التحديات الدينية وكيفية مواجهتها

أ) الموريسكيون والتحديات الدينية

منح البابا إسكندر السادس(٥٢)للملكين فرناندو وإيزابيلا لقباً تشريفياً عام٩٠١هـ/ ١٤٩٦م وهو "صاحب الجلالة الكاثوليكي"لنجاحهما في القضاء على مملكة غرناطة الإسلامية. وقد أعطاهما ذلك دافعاً كبيراً للبحث عن مخرج لهما للتخلص من وعودهما التي أقسما على احترامها وتنفيذها عند استلام غرناطة من المسلمين والتي كانت تكفل للأندلسيين حق ممارسة حريتهم ولغتهم وشعائر دينهم (٥٣).

حرصت الكنيسة في غرناطة في بداية الأمر على دعوة الأندلسيين لاعتناق الدين النصراني بالطرق السلمية إلا أن هذه السياسة الهادئة لم تحقق النتيجة المرجوة، ولذا تغيرت مع تعيين الكاهن الكاثوليكي المتعصب فرانسيسكو دي سيسنيروس المعروف

---

(٥٢) اسمه رودريغو دي بورخا، ابن شقيق البابا Callistus III كاليستوس الثالث (ألفونسو دي بورخا) . ولد فيشاطبةJátiva بلدة تابعة لمدينة بلنسية في الأول من يناير ١٤٣١م/٨٣٤هـ، وتوفي في ١٨ أغسطس ١٥٠٣م/٩٠٩هـ. تم انتخابه لمنصب البابا في عام ١٤٩٢م/ ٨٩٧هـ، ومُنح لقب إسكندر السادس.(انظر: Luis E. Ninamango Jurado: El Rey Fernando II de Aragon y el papa Alejandro VI Autores Intelectuales del peor Crimen de Lesa Humanidad En La Historia, Revista electronica digital runa yachachiy, Berlín, 2014, p5,10) .

(٥٣) بشتاوي: الأندلسيون الموارکة، ص١١٠؛ Luis E.Ninamango Jurado, op.cit,p12.

باسم خيمينث (زمنيز) Ximenez[٥٤] مساعداً لرئيس أساقفة غرناطة لمتابعة تنصير الأندلسيين[٥٥].

والذي ما لبث أن قرر في عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م بضرورة إجبار كل من أسلم من النصارى الارتداد عن الدين الإسلامي والرجوع إلى النصرانية سواء بالرضى أو بالقهر. ثم توسع في تنصير الأندلسيين بحيث شمل كل مسلم كان جده نصرانياً[٥٦].

كما أمر بتعميد[٥٧]أبناء كل النصارى الذين اعتنقوا الدين الإسلامي أثناء حكم مملكة غرناطة الإسلامية، واحتج أن شروط معاهدة تسليم غرناطة شملت الآباء فقط ولم تشمل الأبناء. عند ذلك بادر عمال الكنيسة بإلقاء القبض على هؤلاء الأطفال وتعميدهم بالقوة. وحدث أن استنجدت إحدى الفتيات أثناء أخذها بالقوة لتعميدها،

---

(٥٤) راهب تابع لجمعية القديس سان فرانثيسكوSan Francisco، وُلد بقرية توردياغونهTordelaguna ينحدر من أسرة بسيطة (١٣٣٦-١٥١٧م) معروفاً بتعصبه الكاثوليكي، رشحته إيزابيلا لتولي منصب رئيس أساقفة طليطلة والذي يتضمن أن يكون مستشار قشتالة، وكبير الأساقفة. ووافق على هذا الترشيح البابا ألكسندر السادس سنة ١٤٩٥م. (انظر: بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٠٩؛ كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٤٩) .

(٥٥) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٤٩.

(٥٦) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٧.

(٥٧) التعميد من مصدر "عمد" ومن معانيه في اللغة: القصد والتعمد وهو نقيض الخطأ وأيضاً البلل بالماء كالتراب عندما يتبلل بالمطر.ومنها المَعْمُودِيَّةُ التي عرّفها الفيروزآبادبأنها:"ماءٌ للنَّصارى يَغْمسونَ فيه وَلَدَهُمْ مُعْتَقِدينَ أنه تَطْهيرٌ له، كالخِتانِ لغيرِهِم.واستقاموا على عَمودِ رأيِهِم، أي: على وجْهٍ يَعْتَمِدونَ عليه". وتعتبر هي الفريضة الأولى التي يدخل بها الإنسان إلى الدين النصراني وتكون بتغطيسه في الماء ثلاث دفعات على اسم الثالوث (الأب، والإبن، وروح القدس) . (انظر: الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، المشرف على التحقيق محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م، ص٣٠١؛ ابن منظور: لسان العرب،ج٣، ص ٣٠٢؛ جرجس،حبيب: أسرار الكنيسة السبعة، القاهرة، جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية، ١٩٤٣م، ص٢٦؛ السحيمي، سليمان بن سالم: التعميد عند النصارى عرض ونقد، السعودية، مكتبة دار النصيحة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٨- ٢٥) .

وعندما بدأت بالصراخ والقول بأنها تريد أن تبقى على إسلامها ؛ تجمهر الناس حولها لمساعدتها إلا أن الأمر تطور إلى عِراك مع عمال الكنيسة نتج عنه قتل أحد رجالها. اتقدت حماسة المسلمون للثورة رفضاً منهم لسياسة القهر ضدهم، فحملوا أسلحتهم وحاصروا منزل خيمينث. دامت ثورتهم عشرة أيام لم تنته إلا بعد مفاوضات بينهم وبين القائد العسكري لغرناطة تنديلاTendilla ورئيس أساقفة غرناطة هرماندو دي تلافيراHermando de Talavera اتفقوا فيها على أن يتخلى المسلمون عن أسلحتهم وتسليم الأفراد الذين قتلوا عامل الكنيسة(٥٨).

لقد استغل خيمينث هذه الثورة أفضل استغلال وتمكن من إقناع الملكان الكاثوليكيان بأن ما حدث من تمرد المسلمين في غرناطة عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م وحملهم السلاح ضد الدولة والكنيسة ؛ أسقط عنهم قانونياً حقوقهم التي كفلتها لهم معاهدة تسليم غرناطة التي يستندون عليه. على أثر ذلك أصدر الملكان الكاثوليكيان قراراً عاماً ينص على فرض التنصير على كل رعاياهما من المسلمين أو تهجيرهم إن تمسكوا بدينهم الإسلامي(٥٩). أما بالنسبة لمسلمي غرناطة فيجب معاقبتهم لتمردهم إما بالإعدام أو مصادرة ممتلكاتهم ولن يستحق العفو منهم إلا من أراد أن يتحول إلى الدين النصراني(٦٠).

(٥٨) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص ١٥٣-١٥٩؛ بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص ١١٣-١١٤؛ لي، هنري تشارلس: العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ترجمة حسن الكرمي، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص٤٨-٤٩.

(٥٩) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١١٥.

(٦٠) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص ١٥٨.

يذكر مارمولكارباخال[٦١] في كتابه أن خيمينث تمكن في عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م من خلال الموعظة أن يغير قناعة الأندلسيين في عقيدتهم الإسلامية وكذلك وزع عليهم الهدايا السخية فنجح في تنصير ثلاثة آلاف مسلم وحول المسجد الجامع في البيازين في غرناطة إلى كنيسة تابعة للقديس سان سلفادور بالإضافة إلى أنه طلب من علماء المسلمين تسليم الكتب الإسلامية التي بحوزتهم ثم قام بحرقها أمام الناس[٦٢].

ولكن من خلال النظر في مجريات الأحداث التاريخية التالية وما صاحبها من سياسة صليبية عنيفة للتحقق من صحة تنصر الأندلسيين ومعاقبة كل من يثبت عنه عكس ذلك؛ لدليل على أن ما حدث عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م من تنصير جماعي للمسلمين كان تحت تهديدات وليس من خلال تغيير قناعات.

روع هذا الخبر المسلمين الموجودين في القرى والجبال المحيطة بمدينة غرناطة، وكذلك مسلمي المناطق الأخرى الذين يرون أنه ليس من العدل معاقبتهم على ثورة لم يشتركوا فيها. ونشبت ثورات متعددة فيما بين عامي٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م و٩٠٦هـ/١٥٠١م انتهت جميعها بالفشل وتمكن الملكان الكاثوليكيان من القضاء عليها بقتل الرجال وأسر النساء وتنصير الأطفال، وتم كذلك تنصير باقي المسلمين المدجنين في قشتالة[٦٣].

---

(٦١) مارمولكارباخال (١٥٢٠- ١٥٩٩م) : ولد في غرناطة وتوفي بمالقة. كان أبوه كاتباً بمحكمة غرناطة. اشترك مارمول في الحملة الإسبانية على تونس عام٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م ومكث في افريقيا ٢٢عاماً. ثم عينه الأمير خوان دي أوستريا في منصب مفتش على مشتريات الجيش الإسباني أثناء الثورة الموريسكية مما أتاح له متابعة أحداثها عن كثب. من أهم مؤلفاته كتاب عن وقائع ثورة الموريسكيين وآخر عن أفريقيا. (انظر: كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص٨) .

(٦٢) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٥٠.

(٦٣) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٦١-١٦٣.

كما سمح الملكان الكاثوليكيان للمسلمين الذين لم يشتركوا في الثورات ولا يرغبون بالتنصر الهجرة من إسبانيا، إلا أن هذا السماح لم يتبعه أي تسهيلات، ومن ذلك أنه لم يتم تجهيز إلا عدد قليل من السفن للعبور بهم إلى العدوة المغربية[٦٤]، وأيضاً غلاء رسوم النقل وقصر المدة الزمنية التي لم تتجاوز الثلاثة أشهر لتطبيق قرار تنصير من بقي من المسلمين في إسبانيا[٦٥].

ورغم ذلك تمكن حوالي ثلاثمائة ألف نفس من الهجرة إلى الشمال الإفريقي ومصر والشام[٦٦]؛ أما من لم يستطع الرحيل فأصبحوا نصارى رُغماً عنهم. وقام رئيس أساقفة غرناطة بتعميد سريع للحشود الكبيرة من الأندلسيين الذين اتجهوا إلى الكنيسة من غير أن يستعين بكتاب تعليم أصول الدين النصراني أو إرشادهم إلى الوصايا أو الصلوات معتقداً أنه سيتم إصلاح هذا الخلل فيما بعد[٦٧]، وتم تحويل مساجدهم إلى كنائس[٦٨].

اتضح للدولة الإسبانية لاحقاً أن المسلمين الذين تنصروا حديثاً أخفوا تمسكهم بالدين الإسلامي ومارسوا شعائره سراً، وأن ما تم من تعميد سريع جعلهم نصارى في المظهر وليس في الجوهر. وبناءً على ذلك واجهت هذه الأقلية الإسلامية المزيد من التحديات الدينية والذي زاد من صعوبة الأمر صدور مرسوم عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م

(٦٤) المقري، أحمد بن محمد(ت١٠٤١هـ) : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م، ج١، ص ٧٠.

(٦٥) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٢٢

(٦٦) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١١٩.

(٦٧) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٦٠.

(٦٨) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج١، ص ٦٩.

يقضي بإقامة محاكم للتفتيش (التحقيق) (La Inquisicion)[٦٩] في غرناطة مهمتها التأكد من إيمان الموريسكيين الكامل بالعقيدة النصرانية، ونبذهم لكل ماله صله بالدين الإسلامي، وعليه تم تجريد الموريسكيين من الأسلحة وإلزامهم بإبقاء أبواب منازلهم مفتوحة ليسهل مراقبتهم[٧٠].

تتابعت المراسيم الملكية المضطهدة لهذه الأقلية والتي تحرمهم من أبسط حقوقهم الإنسانية ومنها حظر هجرتهم إلى شمال إفريقيا بذريعة أنهم حديثي عهد بالدين النصراني وأنهم معرضون لخطر التأثر بالمجتمع الإسلامي هناك والذي قد يقودهم إلى الارتداد عن النصرانية، بالإضافة إلى أن حظر الهجرة فيه حماية لنبلاء الإقطاعيين من أن يفقدوا أتباعهم العاملين في ممتلكاتهم. وبغية إحكام هذا الحظر فقد صدر مرسوم يقضي بتحريم إرشاد الموريسكيين الراغبين في الهجرة إلى الطرق المؤدية لخارج البلاد ومعاقبة من يقوم بذلك من الإسبان [٧١].

وترتب على ذلك قيام الموريسكيون في جنوب إسبانيا بثورات عارمة في عام٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م حتى عام٩٨٨هـ/١٥٧١م احتجاجاً على تلك السياسة الجائرة

(٦٩) محاكم التفتيش والتي تعرف أيضاً بديوان التحقيق (LaInquisicion) : ارتبطت نشأتها بالكنيسة الرومانية في أوائل القرن٧هـ/ ١٣م، والهدف منها المحافظة على العقيدة الكاثوليكية، وملاحقة الكفرة والملحدين بتقصي أخبارهم ثم معاقبتهم وإعدامهم. ونشأت في مملكة أراجون عام٦٤٠هـ/ ١٢٤٢ م واستهدفت في ملاحقتها اليهود المتنصرين. وفي عام٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م صدر مرسوم ملكي بإنشاء ديوان التحقيق في قشتالة، ومع مرور الوقت اتسع نشاط هذا الديوان وشمل الكثير من المدن الإسبانية لمراقبة المسلمينواليهود المتنصرين. وكانت سلطة الديوان كبيرة ومرهوبة الجانب بسبب نشاطها وصلاحياتها الواسعة. (انظر: عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج٥، ص ٣٢٨-٣٣٣؛ رستن: محاكم التفتيش، ص٧٨ ،٩٣) .

(٧٠) لي: العرب والمسلمون ، ص٧٣-٧٤.

(٧١) لي: العرب والمسلمون ، ص١٥٥-١٥٦.

بحقهم[٧٢]، لم تتوانى فيها القوات النصرانية عن ممارسة كافة صنوف القمع تجاههم من قتل وتعذيب واسترقاق ونفي إلى شمال البلاد[٧٣]، ومصادرة الأملاك[٧٤].

وظلت السلطات الإسبانية على سياستها التعسفية ضد الموريسكيين رغم تنصرهم وذلك لعدة أسباب من أهمها محافظة الموريسكيين في الخفاء على عقيدتهم الإسلامية وعلى تماسكهم الاجتماعي المستمد من تعاليم الإسلام الحنيف. ولشعور السلطات الإسبانية بخيبة الأمل بسبب فشلهم في تحويل الموريسكيين إلى نصارى مخلصين للكنيسة والدولة، وعلاوة على ذلك فشلهم في تذويب هوية الجماعة الموريسكية ذات الجذور الإسلامية قسراً في هوية الأغلبية النصرانية الحاكمة[٧٥].

كما أن نسبة الزيادة السكانية بين الموريسكين كانت في ارتفاع مع مرور الوقت بعكس السكان النصارى وذلك لعدة أسباب من أهمها أن الدين الإسلامي لا يُحرم الزواج على أي فئة من فئات المجتمع بعكس النصارى الذين يوجد فيهم القساوسة والرهبان والراهبات الممتنعين عن الزواج ما يقلل من نسبة الزيادة السكانية للمجتمع النصراني. وأيضاً كان لانعدام ثقة الدولة في الموريسكيين من حيث أنه كان يُخشى تعاونهم مع الدول الإسلامية المعادية لإسبانيا مثل الدولة العثمانية والدول المغربية في الشمال الأفريقي، أو الدول الأوربية التي على خلاف معها وهي فرنسا وهولندا

(٧٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه الثورات انظر كتاب (وقائع ثورة الموريسكيين) تأليف مارمولكارباخال وهو معاصر لهذه الأحداث ولد عام٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م وتوفي نحو١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م. والكتاب يتألف من جزئيين.

(٧٣) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج٢، ص٥١٣-٥١٤.

(٧٤) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٦٥-١٧٠.

(٧٥) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص٣٣؛ لي: العرب والمسلمون ، ص١٧٤-١٧٧.

وانجلترا[٧٦] فتقرر عدم مشاركتهم في الحروب التي تشنها إسبانيا، بالإضافة إلى منعهم من ركوب البحر خوفاً من هروبهم إلى ديار الإسلام. ونتج عن ذلك الحفاظ على سلامة الموريسكيين من مخاطر الحروب والغرق في البحار وهو ما تكبد عنائه النصارى وحصد أرواح الكثيرين منهم[٧٧].

ومن المعطيات السابقة ظهر لإسبانيا منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أهمية نفي الموريسكيين الموجودين فيها قسرياً بحسب مناطق سكناهم، فصدرت مراسيم متتالية منذ عام١٠١٨هـ/١٦٠٩م إلى عام ١٠٢٣هـ /١٦١٤م تم البدء فيها بطرد موريسكي بلنسية ثم مرسية ثم غرناطة ثم جيان وهكذا حتى شملت جميع المدن التي فيها سكان موريسكيون[٧٨]. واختلف المؤرخون في تقدير عدد الموريسكيون الذين طردوا من إسبانيا حيث تراوحت بين نصف مليون إلى ثلاثة ملايين شخص[٧٩].

وهكذا يظهر لنا موقف الصليبيين الإسبان من الأندلسيين الذين بقوا تحت حكمهم بعد سقوط غرناطة٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م والسياسة القاسية التي انتهجوها في التعامل معهم في سبيل تحويلهم إلى النصرانية. ورغم أن معاهدة تسليم غرناطة كفلت لهم الحرية الدينية إلا أن إسبانيا منذ أن بسطت سيطرتها على أراضي مملكة غرناطة حتى بدأت باستمالة الأندلسيين للدخول في الدين النصراني طواعية، وعندما لم تحقق

(٧٦) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٧٣-١٧٩؛ طه، عبد الواحدذنون: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م، ص ٧٦-٧٧.

(٧٧) الحجري، احمد بن قاسم (ت بعد ١٤٦١م) : ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق قاسم السامرائي وآخرون، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩٧م، ص١٤٦.

(٧٨) طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس ، ص ٧٨.

(٧٩) بشتاوي: الأندلسيون المواركة، ص١٨٩؛ لي: العرب والمسلمون ، ص٢٠٦-٢٠٧.

تلك الطريقة النجاح المرجو منها، ونتيجة لسياسة الكنيسة الإسبانية المتعصبة ضد المسلمين صدرت مراسيم عدة بالتنصير، وإقامة محاكم التفتيش للتأكد من إخلاصهم في اعتناق النصرانية ونبذ الإسلام.

كل ذلك حتم على هذه الأقلية الإسلامية التي عُرفت في التاريخ بالموريسكيين التكيف مع هذه الظروف المعادية في سبيل تطبيق شعائر الدين الإسلامي. ونتيجةً لذلك مارس الموريسكيون شعائر الدين الإسلامي في الخفاء وبعيداً عن أعين السكان النصارى لكيلا يقعوا ضحية تعذيب محاكم التفتيش الإسبانية.

استهدفت الكنيسة في غرناطة العقيدة الإسلامية منذ نجاح الملكين الكاثوليكيين في القضاء على المملكة الإسلامية فيها عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م، ورغم أنها كانت تتبع سياسة الضغط والإجبار إلا أنها كانت لها بعض المحاولات السلمية وتمثل ذلك فيما قام به الراهب هرماندو دي تلافيرا"de Talavera" Hermando (ت٩١٣هـ/١٥٠٧م) رئيس أساقفة غرناطة الذي تبنى الدعوة للعقيدة النصرانية بالطرق السلمية وهذا عكس ما قام به غيره من الأساقفة من أمثال خيمينث (زمنيز) "Ximenez" . حيث أنشأ دي تلافيرا بيوتاً عُرفت ببيت العقيدة يستقبل فيها من يرغب بالتحول إلى الدين النصراني على المذهب الكاثوليكي ويقوم مترجمين له بنقل عظاته إلى اللغة العربية بدقة، كما حرص على حث بعض القساوسة في بداية الأمر على تعلم اللغة العربية ليسهل عليهم محاورة الأندلسيون وجذبهم إلى التنصر ومن ثم الإنصات إلى اعترافاتهم بعد تحولهم إلى الدين النصراني(٨٠).

وكان لتأليف الكتب دور في محاربة العقيدة الإسلامية بها حيث تم تأليف كتب لشرح الدين النصراني ومنها كتاب "العقيدة المسيحية" ألفه مارتين دي أيالا لتعليم

(٨٠) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٤٤.

مسلمي بلنسية[٨١]، وفي المقابل ألفوا كتب لمهاجمة الإسلام ولقد ركزت معظمها على نقد القرآن الكريم مثل كتاب "إزهاق القرآن" للراهب ريكولدو دي فونتكروثي عام٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م الذي عاش فترة طويلة من الزمن بين المسلمين في آسيا. وكتاب "في مواجهة القرآن" تأليف برناردو بيرز عام٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م[٨٢]، وهو عبارة عن ترجمة لبعض الآيات القرآنية ومن ثم انتقاد مضمونها. ولقد أوضح أحد الموريسكيون أن هذه الترجمات في معظمها خاطئة ومختلفة عن المعنى الحقيقي في القرآن[٨٣]. إلى مؤلفات أخرى مليئة بالاتهامات الكاذبة على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف[٨٤].

ومن جانب آخر اتبعت الكنيسة طرقاً ملتوية في محاولة إقناع الشخصيات البارزة بالتحول إلى الدين النصراني لأهميتهم الكبيرة في التأثير على أتباعهم من الأندلسيين ومثال ذلك ما حدث لشخص يدعى الثغري[٨٥]ZagriAzaator كان من الزعماء الأندلسيين البارزين ومن المعارضين لسياسة الدعوة للدين النصراني بين المسلمين

(٨١) لونغاس، بدرو: حياة الموريسكيين الدينية، ترجمة جمال عبد الرحمن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م، ص٥٢.

(٨٢) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص١٠٥.

(٨٣) عبد الرحمن، جمال: "ثقافة موريسكي قراءة في المخطوطة ٩٦٥٤ بمكتبة إسبانيا الوطنية"، دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م، ص١١٠.

(٨٤) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٠٥.

(٨٥) الثغريالمحرفة في الرويات النصرانية (Zegri) يقصد بهم جماعة من قبيلة غمارة المغربية وكان لهم دور بطولي في الدفاع عن مالقة التي سقطت عام (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م) بيد فرناندو ملك قشتالة الذي أصدر قرار استرقاق جميع بني الثغري ولا يُسمح لهم بفدية أنفسهم. ومن جانب آخر فإن لقب (الثغري) كان يُطلق أيضاً على سكان الثغر الأعلى الأندلسي(سرقسطة والمدن التابعة لها) الذين نزحوا من الثغر الشمالي إلى الجنوب بسبب حركة الإسترداد النصراني. (انظر: عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج٥، ص١٦٦هامش رقم ٢ ، ص ٢١٧) .

الأندلسيين، فلجأ خيمينث معه إلى أسلوب القوة لتحويله إلى النصرانية فسجنه وسجن معه أحد القساوسة المعروف بقسوته مع الأشخاص الذين لا يريدون التنصر فما فَتِئَ يدعوه للنصرانية ويرغمه عليها بشتى الطرق حتى اِرتدّ الثغري عن الدين الإسلامي وطلب من رئيس الأساقفة أن يعمده، وتخلى عن اسمه الإسلامي وتسمى باسم نصراني وهو جونثالو هيرناندیثGonzalo Hernandez. ونتج عن ذلك تحول عدد من الأندلسيون عن دينهم طواعية تأثراً بما حدث للثغري(٨٦).

وتجدر الإشارة أن ارتداد بعض الأندلسيين عن الدين الإسلامي كان يعد من أصعب مراحل هذا التحدي الذي واجه من بقي منهم على الدين الإسلامي، وذلك لأن بعض هؤلاء المرتدين بتحريض من الكنيسة يقومون بالدعوة إلى الدين النصراني بين الأندلسيين، ويبثون المعلومات الخاطئة عن الدين الإسلامي لإضعاف قناعة المتمسكين بالإسلام مستغلين ضعف التثقيف الشرعي عند الأندلسيين في تلك الفترة التي أصبحوا فيها تحت الحكم النصراني. وقد سبب هذا ضغط نفسي كبير على المتمسكين بدينهم، وخاصة عندما يرون الهبات والتسهيلات التي يتمتع بها المرتدين عن الإسلام.

ومن الشخصيات التي تمثل هذا الجانب أحد الفقهاء الموريسكيين والذي كان يسمى ابن عبد الله وهو ابن فقيه(٨٧) أيضاً، ارتد عن الإسلام وتحول إلى النصرانية منذ

---

(٨٦) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص١٥٢.

(٨٧) المعلومات المتوفرة عن هذه الشخصية شحيحة ومستمدة من ماذكره عن نفسه في مقدمة كتابه "Confusion de la secta mahomatica" حيث أشار انه ولد في بلدة شاطبة التي تقع بالقرب من بلنسية من فقيه مسلم يدعى عبد الله وبعد وفاة والده بمدة تحول إلى الدين النصراني عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م وتم تعميده في كنيسة بلنسية.(انظر:

Arenal: After Conversion Iberia and the Emergence of Modernity, Leiden,Brill,Mercedes García 2016,p.175-176)

عام٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م، وسمى نفسه خوان أندريس. وتم تعيينه راهباً في غرناطة بعد سقوطها في يد النصارى، وأُوكل إليه مهمة إقناع الموريسكيين بالدين النصراني. وقام بترجمة القرآن الكريم ومجموعة كتب في الأحاديث النبوية الشريفة. وأيضاً ألف كتاب "مواجهة ضد القرآن وضد النحلة المحمدية من خلال كتابها وحياة محمد نفسه" شكك من خلاله بالدين الإسلامي وتعاليمه ولاقى الكتاب انتشار واسع في إسبانيا(٨٨). ومن نافلة القول الإشارة إلى أن النصارى الإسبان لم يدخروا وسعاً في تأليف الكتب التي تشوه الدين الإسلامي وسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم(٨٩).

وفي المقابل كان هناك الكثير من الموريسكيون الذين حرصوا على سلامة عقيدتهم فكتموا إسلامهم، وفي سبيل تحقيق ذلك كانوا لا يمارسون شعائر الدين النصراني إلا مجبرين، ولا ينتظمون في الحضور إلى الكنيسة، ولا يعترفون بذنوبهم عند القساوسة وإن حدث ذلك فتكون اعترافات وجيزة ويتم تكرار نفس الاعتراف لمدة طويلة من الزمن، لنفي الشبهة عن مقتهم للعقيدة النصرانية. بالإضافة إلى أنهم لا يحرصون على تعلم اللغة القشتالية ليكون لهم عذراً في عدم أدائهم لصلاة النصارى على الوجه الصحيح. وقد حرصت هذه الأقلية الإسلامية المضطهدة في إسبانيا على كتمان العقيدة الإسلامية في قلوبهم وتدارسها بالسر فيما بينهم(٩٠).

ومن التحديات الدينية الأخرى التي واجهت الموريسكيين هي الطهارة التي تعد مطلب من المطالب التي نادى الإسلام بضرورة تحققها في المسلمين. وعليه فقد حرمت الكنيسة على الموريسكيين أن يمتلكوا حمام، وكذلك الاغتسال بها في غير أيام الأعياد

(٨٨) هورتز:الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص١٠٦.

(٨٩) هورتز:الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٠٥.

(٩٠) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص ١٦٨.

النصرانية أو في أيام الآحاد[٩١]. ثم أمرت بهدم الحمامات الموريسكية في عام٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م بسبب اعتقاد الكنيسة أن استحمام الأندلسيون فيها بشكل متكرر بمثابة الوضوء[٩٢]، حيث كانوا يستحمون حتى لو في أشد أيام الشتاء برودةً[٩٣]. لذا استعاض الكثير منهم بالذهاب إلى الأنهار والانغماس فيها لتطهير نفسهم من غير أن يلفتوا انتباه أعضاء المحاكم لهم[٩٤].

أما الصلاة فقد أدّاها الموريسكيون في منازلهم سراً، وخاصة بعد تحويل المساجد إلى كنائس بفعل التنصير القسري. وفي الخفاء؛ كانوا يتداولون الكتب التي تشرح الصلاة، وحرصوا على حفظ سورة الفاتحة لتكرر ذكرها في جميع ركعات الصلاة[٩٥].

وبالنسبة للأكل والشرب الحلال فقد حرص الموريسكيون على عدم أكل لحم الخنزير أو ما ذُبح على غير ما شرعه الدين الإسلامي. ومن ذلك عنايتهم بان لا يأكلوا سوى لحوم الحيوانات التي ذُبحت على الطريقة الإسلامية. وفي المقابل أصدرت الكنيسة أوامر منعت فيه الموريسكي من أن يعمل قصاباً، وأن عليهم إذا أرادوا ذبح ماشيتهم أن يستدعوا قصاباً نصرانياً أو قصاباً موريسكياً مُعين من قِبل القسيس[٩٦]. وقد ثبت أن الموريسكيون أثناء رحلة خروجهم من إسبانيا في عام الطرد يرفضون اللحم المقدم

(٩١) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١١٥.

(٩٢) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٤٧.

(٩٣) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية ، ص٣٤.

(٩٤) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية ، ص٧٦.

(٩٥) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٠٤.

(٩٦) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١١٤.

إليهم لعدم معرفتهم بطريقة ذبحه كما أن منهم من يتعمد الاستفراغ إذا أكل لحم الخنزير بالخطأ(٩٧).

وعُرفَ عن الموريسكيون أن من أكلاتهم المفضلة القمح المسلوق مع اللبن والتي يظهر أن تفضليهم له يرجع إلى موروث إسلامي حيث يذكر لونغاس(٩٨) أن ذلك كان أول طعام أكلته آمنه أم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ورغم أنه لا يوجد ما يثبت ذلك في المصادر الإسلامية إلا أن هذا الطعام شبيه بالتلبينة التي تصنع من الشعير واللبن والتي أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وامتدح فوائدها الغذائية. وسبب أخر يضاف لما سبق هو أن مكوناتها زهيدة الثمن ومتوفرة بسهولة نظراً للوضع المالي المتدني للموريسكيين، وأنه لا يعتمد على اللحم الذي يعد مسألة ذبحه على الطريقة الإسلامية قضية معقدة لهم في ظل تتبع محاكم التفتيش لهم. وكما تجنبوا الطعام المحرم في الإسلام، تجنبوا شرب الخمر الذي كان منتشر في المجتمع النصراني(٩٩).

ومن التحديات الكبرى التي واجهت الموريسكيون في تطبيق شعائر الدين الإسلامي هو صوم رمضان، الذي حرصوا على ممارسته طوال وجودهم في إسبانيا حتى العام الذي طردوا فيه منها. ورغم حظر الكنيسة كل الممارسات التي تشير إلى الدين الإسلامي إلا أن الموريسكيين صاموا رمضان، وكانت وجبات الطعام لا تزيد خلال رمضان عن وجبتين في اليوم، كما أن الزيت والجبن كانا مكونان أساسيان في معظمها(١٠٠). وقد شهد السكان النصارى في وثائق عامي٩٩٦ -٩٩٧هـ/ ١٥٨٨ - ١٥٨٩م بأن الهدوء يسود القرى التي يسكنها غالبية موريسكية خلال نهار شهر

(٩٧) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٥٢.

(٩٨) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣٣.

(٩٩) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣٣.

(١٠٠) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٠٢.

رمضان. بالإضافة إلى أنهم شهدوا بأن العمال الموريسكيون لا يشربون في نهار ذلك الشهر رغم الحر الشديد ويكون جوابهم لمن يستنكر عليهم ذلك بأنهم لا يشعرون بالعطش(١٠١).

وبالنسبة للحج فمن رحمة الله لعباده أن جعلها بحسب الاستطاعة، ورغم أن معظم الموريسكيون لا يستطيعون أدائها بسبب سياسة القمع والتنصير، إلا أنه تم العثور على مخطوطة أكدت أن الموريسكيين يعرفون أن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وتمكن بعضهم من أدائها. وهذه المخطوطة بعنوان: "قصائد رحلة حج مونثون، رحلة إلى مكة في القرن السادس عشر"(١٠٢).

أما الأعياد الإسلامية فقد كان الموريسكيون يحتفلون بعيدي الفطر والأضحى، كما أنه في بعض السنوات يوافق عيد العصير وهو احتفال اسباني بمناسبة جني ثمار العنب، فيستغل المسلمون الموريسكيون ذلك ويجتمعون في المزارع يحتفلون بالعيد الإسلامي تحت ستار الاحتفال بعيد العصير إذا وافق ذلك. ويعد يوم الجمعة عند الموريسكيين أيام عيد ويحترمونه أكثر من يوم الأحد. وكانوا لا يراعون أعياد الكنيسة، وكانوا يعملون فيها ولا يهتمون بتعظيمها(١٠٣).

ولم تقتصر التحديات الدينية على مراقبة الموريسكيون في مدى انقطاعهم عن ممارسة أركان الإسلام، بل تعدى إلى فرض الرقابة الكنسية على حالات الولادة في المجتمع الموريسكي حيث حرمت الكنيسة على النساء الموريسكيات أن يعملن قابلات، وفي المقابل ألزمتهم بضرورة حضور قابلة نصرانية قشتالية الأصل عند ولادة

(١٠١) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٥٢.

(١٠٢) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٠٤.

(١٠٣) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣٢، ٥٠.

أطفالهم[١٠٤]، بالإضافة إلى أنها أمرتهم بأن يحضروا أبنائهم للكنيسة ليتم تعميدهم بحسب الطقوس النصرانية ولكي لا يثيرون الشبهة حول دينهم فإنهم يذهبون للكنيسة ولكن سرعان ما يرجعون إلى منازلهم و يقوموا بغسل أطفالهم بالماء الدافئ لإزالة أثر الماء والزيت الذي وضعه القسيس عليهم[١٠٥].

وفي نفس الوقت أرغمت الكنيسة الموريسكيين بإطلاق أسماء نصرانية على مواليدهم كما أمرت الآباء أنفسهم بتغيير أسمائهم العربية إلى أسماء نصرانية إلا أنهم رغم ذلك كانوا يطلقون فيما بينهم على أبنائهم أسماء إسلامية[١٠٦].

وبالنسبة للختان فأنه رغم حظر الكنيسة له إلا أن الموريسكيون ختنوا أبنائهم الذكور منذ الصغر سراً، ومن خلال وثائق محاكم التفتيش ثبت أن معظم الموريسكيون الذين تم القبض عليهم كانوا مختونين مما يدل على اعتناقهم الدين الإسلامي. وقد تتبعت الكنيسة كل شخص عُرف عنه اِمتهان الختن ، ودلّت الوثائق على أنه تم الكشف عن أسره كاملة مغربية الأصل امتهنت في الخفاء عملية الختان للموريسكيين، ولم يقتصر الأمر عليهم حيث أنه قد تم التبليغ عن طبيب فرنسي اِعتنق الإسلام في إسبانيا وكان يجري عمليات الختان للموريسكيين سراً وعند القبض عليه وجدوه مختوناً [١٠٧]. كما ثبت لدى الكنيسة الإسبانية أن الموريسكيون حتى عام صدور قرار نفيهم من إسبانيا١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م يختنون سراً مواليدهم من الذكور[١٠٨].

(١٠٤) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٤٧؛ هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص١١٥.

(١٠٥) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية ، ص ٣٤.

(١٠٦) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية ، ص ٢٤١؛ هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١١٦.

(١٠٧) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٥٣.

(١٠٨) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣٢.

وهكذا الحال في الزواج حيث تم حظر الزواج على الطريقة الإسلامية، وفُرض على الموريسكيين في السنوات التي كانت فيها محاكم التفتيش في أوج نشاطها بترك أبواب منازلهم في أيام الزفاف مفتوحة لكي يسهل على عيون الكنيسة مراقبة ما يجري في الداخل من مراسيم الزفاف. وكان على الفتاة الموريسكية يوم زفافها أن ترتدي زياً نصرانياً وتذهب إلى الكنيسة لتطلب مباركة القساوسة وتؤدي الصلوات النصرانية الخاصة بالزواج التي غالباً ما يقوم القساوسة باختبارهن فيها. ولكن كان معظمهن يخلعن هذا الزي حالما يرجعن إلى منازلهن ويرتدين الزي الإسلامي الموريسكي ويتم الاحتفال على الطريقة الإسلامية والتراث الموريسكي(١٠٩). كما تم حظر الزواج بأكثر من امرأة واحدة وهو الأمر المسموح به في الشريعة الإسلامية بخلاف النصرانية (١١٠). وبما أن استعمال الحناء من عادات احتفال المسلمين بالزفاف الإسلامي والزينة فقد منعت الكنيسة استعماله على أيديهم وأرجلهم وشعورهم(١١١)، ويبدو أن الأندلسيون التزموا بذلك لأن الحناء تُبقي أثراً ظاهراً على مستعملها تدل عليه.

لم تتجاهل الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا مرحلة الاحتضار والموت في سبيل أن تتأكد أن الموريسكيون فارقوا الحياة على الدين النصراني. مما جعل العديد من الموريسكيين لا يطلبون العون من القساوسة عندما تحضرهم الوفاة، حتى أنهم يخفون أخبار مرضاهم حتى لا تعلم الكنيسة بهم فترسل لهم القساوسة أو الرهبان، وإذا مات المريض فإنهم يحتجون أمام الكنيسة أنه مات فجاءة ولم يسعفهم الوقت لاستدعاء القسيس(١١٢)؛ بالإضافة إلى أنهم لا يطلبون الصلاة -وهي إحدى الطقوس

(١٠٩) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣٤.

(١١٠) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٤٧.

(١١١) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٧٤؛ بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٤٧.

(١١٢) بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٤٧.

النصرانية - على أرواح موتاهم[١١٣]. علاوة على ذلك فقد نصت الأوامر الكنسية على أن يدفن الموريسكيون موتاهم في مقابر الكنائس والأديرة إلا أنهم استمروا في الدفن في مقابر خاصة بهم خارج العمران[١١٤].

وللقضاء على اتصال الموريسكيون بإخوانهم المسلمين في العالم الإسلامي، ولقطع الامتداد التاريخي للموريسكيين بتراثهم المجيد أصدرت إسبانيا قراراً عام٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م منعت فيه استخدام اللغة العربية تحدثاً أو قراءةً أو كتابةً سواء علانية أو سراً [١١٥].وإمعاناً في القضاء على اللغة العربية في البلاد أمهلت الدولة الموريسكيين ثلاث سنوات لإتقان اللغة القشتالية (الإسبانية) وبناءً عليه فإنه لم يُسمح لأحد بالتحدث باللغة العربية خلال هذه المدة، وفي عام ٩٧٤هـ/١٥٦٧م ألغت العقود المحررة باللغة العربية[١١٦].

وهكذا الحال مع العلم الشرعي والكتب الدينية فقد جمعت الكنيسة في غرناطة الكتب العربية الإسلامية المؤلفة في شتى علوم المعرفة، وقامت بإحراق الكتب الدينية منها أما الأخرى فقد تم الاحتفاظ بها في مكتبة الكنيسة في قلعة عبد السلام[١١٧].

---

(١١٣) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣٣.

(١١٤) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص١١٦.

(١١٥) الحجري: ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص٢٥؛ لي: العرب والمسلمون في الأندلس، ص٧٩.

(١١٦) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص ١٨٧؛ بشتاوي: الأندلسيون المواركة ، ص١٤٧.

(١١٧) قلعة عبد السلام (Alcala de Henares) تقع على نهر اينياريس شمال شرق مدريد،وتبعد عنها ما يقارب ٣٠ كيلومترًا. وكانت تابعة في العصر الإسلامي لمدينة طليطلة.ويبلغ تعداد سكانها ٩٢٤ ،٢٠٣ نسمة حسب احصائية عام ٢٠١٢. (انظر: ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ) : التكملة لكتاب الصلة، عبد السلام الهراس، لبنان،دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م،ص ٢٤٠؛ كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص١٥٢.موسوعة ويكيبيديا: ألكالا_ دي _إنياريس/https://ar.wikipedia.org/wiki)

ولمحو الهوية الدينية والثقافية للأقلية الموريسكية فرضت الكنيسة عليهم ضرورة إرسال أبنائهم إلى المدارس بهدف تعليمهم اللغة الإسبانية والعقيدة النصرانية. إلا أن المسلمون حاولوا عدم الالتزام بذلك بحجة أن أبنائهم لا وقت لديهم للذهاب إلى المدارس فأبائهم يعلمونهم حرفة ليعملوا بها ويكسبوا بها قوت يومهم(١١٨).

وقد حافظ الموريسكيون على زيهم الأندلسي العريق، إلا أن الدولة فيما بعد حظرت صناعة الأزياء الموريسكية ضمن بنود المرسوم الصادر في عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م وفعّلتها عملياً في عام٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م. كما شدد القرار على منع النساء الموريسكيات من ستر وجوههن (١١٩).

لقد أدت الأوامر التعسفية في مراقبة الحياة اليومية للموريسكين والحرص على قطع الصلة بينهم وبين التفقه في الدين الإسلامي إلى أن أصبح كثير منهم يجهلون تعاليم الإسلام وشعائره الصحيحة، وانتشرت بينهم الخرافات والبدع والمعتقدات الباطلة والتي منها على سبيل المثال لا الحصر: ابتدعوا صلاة بمناسبة المولد النبوي(١٢٠) وصلاة وداع رمضان في أخر ليلة من رمضان عند ظهور هلال شوال(١٢١)، وصيام ما سُمي بـ"التواسع" وهي صيام تسعة أيام مع الإكثار فيها من الصلاة والدعاء، وأيضاً ابتدعوا صيام "العقوبة" وسُمي أيضاً بصيام "الصابرين" وهو نوع من الصيام يُفرض على منْ ارتكب جريمة وحشية مثل القتل، وعلى الصائم أن يمتنع عن الأكل لمدة

(١١٨) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣١.

(١١٩) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٣١.

(١٢٠) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص١٢٧.

(١٢١) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص١٣١.

ثلاث أيام بلياليها، وكانوا يعتقدون أنه إذا عاش بعد هذا الصوم أن الله قد غفر ذنبه، أما إذا مات خلال صوم الصابرين فإنه لم يُغفر له وسيدخل النار(١٢٢).

ومن ذلك أيضاً حددوا بعض الأيام في السنة يكون الاغتسال فيها ذو أجر أكبر من الأيام الأخرى مثل اليوم الأول، والأخير، والمنتصف من شهري رجب وشعبان. وأيضاً اليوم الأولمن شهر رمضان، والسابع والعشرون، والأخير منه. وكذلك يومي المنتصف والأخير من شهر ذي القعدة. أما الأيام المحددة في شهر ذي الحجة هي اليوم الأول، والتاسع، ومنتصف الشهر، واليوم الأخير(١٢٣).

ومن البدع "صلاة الخير" وهي صلاة من مئة ركعة وتؤدى في ليلة الخامس عشر من شهر شعبان(١٢٤). وابتدع المورسكيون أيضاً ما اصطلحوا على تسميته بـ "رسالة الموت" وهي رسالة فيها دعاء من الميت لنفسه تكتب بالزعفران على جلد أو ورق بالخط العربي، توضع عند رأس الميت في قبره، ويزعمون أنها تمنحه الثبات عند حساب القبر(١٢٥).

ب) وسائل الموريسكيون في مواجهة التحديات الدينية

اعتمد الموريسكيون في مواجهة التحديات السابق ذكرها على عدة أمور أبرزها:

١ -الحرص على الحصول على دعم لقضيتهم سواء من سلطات إسلامية أو نصرانية لمساعدتهم في المحافظة على دينهم. ومن ذلك أنهم راسلوا سلطان مصر المملوكي الأشرف قايتباي عام ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م قبل سقوط غرناطة ليرسل لهم فرقة

(١٢٢) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص٢١٠- ٢١١.

(١٢٣) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص ٧٢-٧٣.

(١٢٤) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص١٢٩.

(١٢٥) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية،ص ٢٦٦.

عسكرية تعينهم على حماية غرناطة من السقوط ، فرد على ذلك بأن أمر أحد قساوسة القدس بأن يطلب من ملك نابولي مخاطبة ملكي قشتالة وأراجون ويعلمهم بنية السلطان قايتباي بأنه إذا استمرا في محاصرة غرناطة سوف يمنع النصارى من أداء شعائر دينهم. ولكن لم يكترث الملكان الكاثوليكيان بتهديده، وفي المقابل انشغل السلطان قايتباي بشؤون دولته عن الاهتمام بمصير غرناطة [١٢٦].

ولقد كرر مسلمي الأندلس مراسلة سلاطين مصر في عام ٩٠٦هـ/١٥٠١م أثناء عهد السلطان قانصوه الغوري (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) يشتكون له التنصير القسري الذي فُرض عليهم. مما حدا بالملكين الكاثوليكيين إرسال سفير يدعى بيدرومارتير دي انجليديا PietroMartired'Anghiera (ت٩٣١هـ/ ١٥٢٥م) لكي يشرح له الأسباب التي دعت الملكين إلى إتباع هذه السياسة وأنهما لا يريدان مسلمين في مملكتهما، وأوضح بأنه تم تخيير المسلمين بين البقاء في إسبانيا ولكن بعد اعتناق الدين النصراني عن طواعية أو أن يرحلوا إلى ديار الإسلام بأمان تام[١٢٧].

كما راسل الموريسكيون السلطان العثماني سليم الثاني (٩٣٠ -٩٨٢ هـ/ ١٥٢٤ -١٥٧٤م) وكان يمدهم بالسلاح عن طريق الجزائر، ولكن كانت مساعدة العثمانيين محدودة بسبب انشغالهم بفتح جزيرة قبرص٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م والمناوشات مع روسيا[١٢٨]. بالإضافة إلى تجهيز حملتين بحريتين عثمانيتين في

(١٢٦) ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٦٠م، ج٢، ص٥٤٣؛لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص٢٧.

(١٢٧) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص١٥٨ -١٥٩؛ هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص١١؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص ٢٧٢؛ القاسمي، خالد محمد مبارك: العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٨م، ص٧٩.

(١٢٨) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص ٥٦-٥٧.

عامي٩٩٧هـ/١٥٨٩م، و٩٩٩هـ/١٥٩١م ولكنهما لم تنجحا في تحقيق النتيجة المرجوة منهما في إنقاذ الموريسكيين من القمع الديني الذي يعيشوه(١٢٩).

وبما أن النظام الإقطاعي هو النظام السائد في إسبانيا في تلك الفترة، فأنه تم الأمر بوجوب بقاء الموريسكيين في أماكن إقامتهم وأنهم يعتبرون رعايا للنبلاء النصارى المالكين للأرض(١٣٠). وعليه فقد تمكن بعض موريسكي بلنسية عام٩٧٦هـ/ ١٥٦٩م من الحصول على تأييد بعض سادتهم الإقطاعيين مثل سانشو دي كاردونا الأرغوني الذي سمح لهم القيام بشعائر الدين الإسلامي على أراضيه بشكل معلن. ولم يكن سانشو مقتنعاً بالتنصير الإجباري للموريسكيين وحاول أن يحصل على موافقة البابا في روما عن طريقة وساطة بعض الشخصيات الهامة بأن يكون لموريسكي بلنسية الحرية الدينية. كما خطط بأن يرسل خطاب إلى السلطان العثماني يحثه على أن يكتب خطابات لكلاً من البابا وملك إسبانيا يستنكر فيها القمع الديني المتبع مع الموريسكيين(١٣١).

لم يقتصر الموريسكيين في طلبهم للدعم على السلطات الرسمية الإسلامية بل تجاوزوا ذلك إلى عامة المسلمين في الشمال الأفريقي وآسيا الصغرى، والذين لم يدخروا وسعاً في امداد الموريسكيين بالمجاهدين والمؤن تحقيقاً للتضامن الإسلامي(١٣٢).

---

(١٢٩) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص٧٠.

(١٣٠) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص٢٨.

(١٣١) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص٣٥-٣٦.

(١٣٢) ثيسار، نيكولاس كابرينا: "مصدر لمعرفة تاريخ الموريسكيين محاضر اجتماعات المجلس البلدي"، ترجمة جمال عبد الرحمن، دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م، ص١٩٤، ٢٠٠؛ بيانوبيا، فرانثيسكوماركيث: "أسطورة المؤامرة الموريسكيةالكبرى"، ترجمة جمال عبد الرحمن، دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م، ص ٢٤٥-٢٤٧؛ كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج٢، ص١٩٤.

ومن ذلك الغزوات البحرية في عام ٩٦٧ه/ ١٥٦٠م، وعام ٩٧٢ه/ ١٥٦٥م،وعام ٩٧٣ه/ ١٥٦٦م على الشواطئ الإسبانية التي أثارت الرعب في قلوب السكان النصارى، وساهمت في نقل الموريسكيين الراغبين في الهجرة إلى بلاد المغرب والجزائر(١٣٣). بالإضافة إلى أنه تمت مصادرة رسائل في عام٩٧٥ه/١٥٦٨م يطلب فيها الموريسكيون العون من سكان بلاد المغرب، وأن ينقلوا فحوى هذه الرسائل إلى السلطان العثماني(١٣٤).

٢ - تحدى بعض الموريسكيون القرارات التي نصت على حظر الشعائر الإسلامية والمجاهرة بها. فقد أثبتت وثائق عام٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م أن العديد من موريسكي أراجون وخاصة في مدينة سرقسطة كانوا شديدي التمسك بالدين الإسلامي وكأنهم ولدوا في بيئة إسلامية كاملة. وعندما يتم القبض عليهم لا يبرهنون على نصرانيتهم، مما يستوجب إعدامهم، عند ذلك يتلقى باقي الموريسكيون الخبر بسرور ويعتبرونهم شهداء ويقيموا الاحتفالات بذلك(١٣٥).

هذا بالإضافة إلى التمرد المسلح الذي قام به بعض الموريسكيون في سنوات مختلفة ومن بينها الثورة التي حدثت عام٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م واستمرت حتى عام٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م، وقد تزعمها أحد الموريسكيون ويدعى هيرناندو دي كوردوبا والذي اتخذ لنفسه لقباً عربياً وهو (ابن أمية)(١٣٦).

٣ - ألف بعض الفقهاء الموريسكيون مؤلفات تم الردّ فيها على معتقدات الديانة النصرانية والتدليل على زيفها وإنكار التثليث، ومن أبرز النماذج على ذلك

---

(١٣٣) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص٣٤، ٥٧، ١٦١.

(١٣٤) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ج١، ص٢٦٣-٢٦٧.

(١٣٥) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص٣٧، ٥١.

(١٣٦) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص٣٩؛ كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين ، ج١، ص٣١٠.

رسالة كتبها موريسكي يدعى محمد الغوزير بعنوان "نقد أركان الإيمان المسيحي". وتوجد رسالة أخرى جدلية تنقد الدين النصراني كتبها أندلسي مسلم اسمه خوان ألونسوراجونيث في نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. ومن الجدير بالذكر أن كثير من هذه المؤلفات مجهولة المؤلف رغم انتشارها بين الموريسكيين ومثال ذلك رسالة بعنوان "المواضع السبعة والثلاثون في القرآن حول وحدانية الله"(١٣٧). والواضح أن السبب في ذلك خوف المؤلفين أن تقع مؤلفاتهم في يد محاكم التفتيش ثم يسهل التعرف عليهم من خلال اسم المؤلف فيتم القضاء عليهم.

ولم يقتصر دور بعض الفقهاء الموريسكيون على التأليف بل ناقش بعضهم علماء النصارى في أركان الدين النصراني لإقامة الحجة عليهم، وبيان بطلان معتقدهم. إلا أن تلك المناظرات والمناقشات لم تكن تسير بطريقة صحيحة إذ سرعان ما تنتهي بالمشاجرة والشقاق بين الطرفين، ومثال ذلك ما قاله الحجري في كتابه: "وكنا نبتدئ بالكلام في العلم ثم تقع المنازعة بيننا على الأديان"(١٣٨). وهذا يدل على أن الحوار بين الأديان في تلك الفترة الزمنية كان عقيماً وكان الجانب النصراني يتسم بالتعصب الديني وكراهية المسلمين. وأن الفقهاء الموريسكيون ورجال الدين النصارى يفتقرون إلى المعرفة العميقة المتبادلة لهوية الآخر، وأن مناظراتهم استهدفت في المقام الأول اقناع كل طرف بقناعات الآخر، بالرغم أنه كان يجب أن تكون غايتها الفهم والتفاهم، وخلق مساحة مشتركة للتواصل والتعاون مما جعل تلك المناظرات تصل إلى طريق مسدود.

(١٣٧) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ص١٥٠ -١٥١.

(١٣٨) الحجري: ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص٥٢.

٤ - ظهور ما تم الاصطلاح على تسميته بأدب "الألخميادو" والمقصود به كل ما كتبه المدجنون والموريسكيون بحروف عربية ولكن بلغة قشتالية(اسبانية) والتي كانت في معظمها كتابات دينية لشرح الدين الإسلامي. وكلمة الخميادو "Aljamiado" مشتقة من الكلمة العربية (اعجم -الأعجمية) التي تعني غير العربي ولا ينطق بالكلام الفصيح(١٣٩).

والسبب في استخدام اللغة الإسبانية أن الجيل الجديد من الأندلسيون لا يفهمون اللغة العربية فلا يمكن شرح الدين الإسلامي وتعاليمه لهم بها، فاعتمد الفقهاء الموريسكيون على كتب من سبقهم من الفقهاء المدجنين(١٤٠). ومن جانب آخر فأنه يبدو أن السبب في كتابتها بحروف عربية هو محاولة الموريسكيون المحافظة على قراءة الحروف العربية وعدم قطع صلتهم بها لأنها لغة القرآن الكريم وأيضاً قد يكون السبب هو جهلهم الكتابة باللغة الإسبانية فقد يكونوا اتقنوها شفهياً ولم يتعلموا كتابتها(١٤١) لأن معظمهم لم يلتحق بالمدارس الإسبانية وانخرطوا في الأعمال المختلفة منذ الصغر لكسب لقمة العيش.

وكانت هذه المؤلفات تُنسخ بالخفاء وتخبأ في شقوق الجدران والسقوف والكهوف وفي أماكن سرية خوفاً من أن تعلم محاكم التفتيش بأمرها، لأنها دليل على إسلام الموريسكيين الذين تكون هذه الكتب بحوزتهم، حيث أنها لم تُكتشف إلا بعد زمن طويل من نفي الأندلسيين من إسبانيا أثناء هدم البيوت القديمة، وأكبر اكتشاف كان في مدينة سرقسطة حيث تم العثور على مكتبة مخبأة تحوي ما يقارب من ١٥٠

(١٣٩) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة،١٩٩٣م، ج٢، ص٥٨٦؛لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص٧.

(١٤٠) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص١٠.

(١٤١) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص١٠.

مخطوطة [١٤٢]. وقد أعانتهم تلك المؤلفات على تعلم الشريعة الإسلامية ونشرها وتدارسها فيما بينهم.

٥ -أقام الفقهاء الموريسكيون جلسات سرية في منازلهم أو في المزارع بعيداً عن السكان النصارى، يعلمون فيها الموريسكيين الأميين أركان الدين الإسلامي والقرآن ويقرؤون عليهم بعض المؤلفات الدينية، ويقدمون لهم النصح والإرشاد، ومن النماذج على هذه الفئة، الموريسكي لوبي هينيستروسا، وآخر يدعى لوبي هيريرو. وفي عام١٠١٤هـ/١٦٠٥م تم اكتشاف ثلاثة من الفقهاء المسلمين ينظمون جلسة أسبوعية للموريسكيين بطريقة سرية يعلمونهم فيه أمور دينهم[١٤٣].

ولم تقتصر الاجتماعات السرية على التعليم الديني بل يتباحثون فيها عن الأحداث الجارية ومصيرهم فقد أثبتت إحدى وثائق محاكم التفتيش في أراجون أنه بعد أن تم طرد موريسكي بلنسية عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م اجتمعوا في بيت أحدهم في منتصف الليل لمناقشة الإجراءات التي سوف يتخذونها عندما يحين طردهم من أراجون وانتهى الاجتماع بأن تقرر أن يتضرعوا إلى الله لمدة الثلاث أيام التالية بالصيام والصلاة وقراءة القرآن لحمايتهم من السياسة التعسفية التي سوف تُتخذ ضدهم[١٤٤].

٦ - مراسلة فقهاء المغرب وتونس والجزائر للإجابة عن استفساراتهم الدينية ومعرفة الحكم الشرعي، وتعد الاجتهادات الفقهية للمسائل التي تطرحها الأقلية الإسلامية في الأندلس من أهم أنواع الدعم التي احتاجها مسلمي الأندلس في ذلك الوقت، ويمكننا تقسيم ذلك النشاط إلى مرحلتين: الأولى منذ مطلع القرن الثامن

---

(١٤٢) بن جميع، محمد نجيب: "الأدب الألخميوالموريسكي تأصيل لكيان"، تونس، دراسات اندلسية (العدد ٣٠، السنة ٢٠٠٣م) ، ص ٢٠.

(١٤٣) هورتز: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية ، ص١٥١.

(١٤٤) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية ، ص٥١.

الهجري وقبيل سقوط غرناطة عام٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م، والمرحلة الثانية بعد سقوط غرناطة وبدء عمليات التنصير القسري للمسلمين الأندلسيين.

اتصفت المراسلات الفقهية في المرحلة الأولى بأنها كانت عبارة عن مسائل ونوازل فقهية يرسلها أحد الفقهاء الأندلسيين لفقيه مغربي يطلب منه الإجابة عليها، وذلك لازدهار العلوم الفقهية في بلاد المغرب أكثر مما كانت عليه في الأندلس في تلك الفترة الزمنية بسبب انشغال الأندلسيون بالحروب التي شنها النصارى على أراضيهم عن تحصيل العلوم المختلفة عامةً والدينية بشكل خاص. وقد ذكر الفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) أنه وردت إلى شيخه أبي عبد الله محمد بن عرفة (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) ثمانية أسئلة من فقهاء غرناطة وقد أجاب عليها ابن عرفة، ونقلها الونشريسي في كتابه(١٤٥).

وأيضاً من أمثلة فقهاء المرحلة الأولى الفقيه الغرناطي محمد بن يوسف العبدري المعروف بـ "المواق"(ت ٨٩٧هـ/١٤٩٢م) حيث أرسل خمسة وعشرون سؤال للفقيه محمد بن القاسم الأنصاري الرصّاع التونسي (ت٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م) وعُرفت بـ "الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية"(١٤٦).

وبالنسبة للمرحلة الثانية فإن أبرز علمائها الفقيه أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني (ت٩١٤ هـ/ ١٥٠٨م) الذي كانت له فتوى خاصة بمسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة عُرفت بـ "أسنى المتاجر، في بيان أحكام من غلب على

(١٤٥) الونشريسي، أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد الحجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص ٣٥٤.

(١٤٦) المواق، محمد (ت٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) و الرصاع، محمد (ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م) : الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية٨٨٦هـ/١٤٨١م، تحقيق محمد حسن، بيروت، المدار الإسلامي،٢٠٠٧م، ص١٦.

وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر"، وفيها تشدد في إلزام المسلمين الذين سقطت مدنهم في يد النصارى بالهجرة إلى ديار الإسلام(١٤٧).

ويضاف إلى مؤلفات المرحلة الثانية وثيقة مؤرخة بعام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م معنونه باسم "كتاب نزهة المستمعين"، وفيها ردّ من مفتي وهران أحمد بن جمعة على بعض الأسئلة الواردة من مسلمي الأندلس والذين حياهم في بداية رسالته(١٤٨) بقوله: "إلى أخواننا القابضين على دينهم كالقابضين على الجمر"، كما أسماهم "الغرباء القرباء". بسط فيها شعائر الدين الإسلامي للموريسكيين في حالة الضرورة، وقدم لهم عدة نصائح تساعدهم على تنفيذها بطريقة التورية والتستر(١٤٩).

وأيضاً كان للفقيه التونسي أبو الغيث القشاش (ت١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م) مراسلات بينه وبين موريسكي الأندلس الذي قال عنهم "هؤلاء الأنصار الأطهار الأخيار فإنه لا يحبكم إلا مؤمن ولا يبغضكم إلا منافق"(١٥٠)، كما أنه أفتى بجواز تأليف كتب في العلوم الشرعية باللغة الإسبانية لمساعدة الموريسكيين في التفقه في الدين الإسلامي(١٥١).

٧ -المحافظة على الترابط الاجتماعي بين الموريسكيون من حيث السكن بالقرب من بعضهم البعض وأيضاً من خلال الزواج فيما بينهم حيث عُرف عنهم أنهم

(١٤٧) الونشريسي، أحمد بن يحيى: أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر،تحقيق حسين مؤنس، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص٢٥.

(١٤٨) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص ٣٤٢-٣٤٤.

(١٤٩) لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية، ص٢٧٥-٢٧٦؛ عبد الرحمن: ثقافة موريسكي ، ص١١١.

(١٥٠) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٥، ص٤٠٧.

(١٥١) عبد الرحمن: ثقافة موريسكي، ص١١٦.

لا يزوجوا بناتهم إلا من موريسكيين وفي المقابل نادراً ما يتزوج واحداً منهم من امرأة نصرانية. وقد اشتهرت قصة رجل موريسكي تزوج من فتاة نصرانية وعاداه قرابتها وقاطعوا زيارتهم وهددوه بالقتل وبعد مدة أسلمت الزوجة وأمها وحسن إسلامهما(١٥٢).

٨ - نشر بعض الأحاديث الموضوعة والأساطير والتنبؤات بقرب النصر على الإسبان واسترداد المسلمين لبلاد الأندلس، وذلك لرفع روحهم المعنوية وتقوية صبرهم وعزيمتهم على تكبد مشاق ممارسة العبادات في ظل الممارسات التعسفية للسلطة الإسبانية. ومن أمثلة ذلك تناقل وصية مزعومة تُعرف بـ"رسالة الشيخ أحمد" في عام٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، وكذلك في عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م وما بعدها. والتي تتضمن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصوم ثلاث أيام مع المحافظة على الصلاة في المسجد، وضرورة تناقل الوصية بين الأشخاص والبلدان وأن من يساهم في نشرها سوف يرزقه الله الخير الجزيل أما من يتجاهلها سوف يصيبه عقاب شديد(١٥٣).

وأيضاً هناك نبوءة مكتوبة عثر عليها ديوان التحقيق عند الموريسكيين وهي طويلة وتشير إلى انتصار قادم للمسلمين، ونجاحهم في استعادة السيطرة على إسبانيا. واحتوت النبوءة على آيات من سورة الروم، وأحاديث موضوعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن دعائه عليه الصلاة والسلام للجيل التاسع بأن يتغمده الله برحمته، كما تنبأت الرواية بسلسلة من الأحداث العسكرية والاقتصادي تظهر نتائجها

(١٥٢) الحجري: ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص٣٤؛ لونغاس: حياة الموريسكيين الدينية ، ص٥٠.

(١٥٣) عبد الرحمن، جمال: "رسالة موريسكية إلى العالم قراءة في مخطوطتين بمكتبة إسبانيا الوطنية"،دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م، ص١٣٠-١٣٢.

في الجيل العاشر(١٥٤). ومن الواضح أن المقصود بالجيل التاسع والعاشر في النبوءة هو القرن التاسع والعاشر الهجريين.

ومن ذلك أيضاً اتخاذ شخصية علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - محوراً لعدد من الأساطير الحربية بحيث يكون مماثلاً للقديس يعقوب Santiago))عند النصارى. وأن علي -رضي الله عنه - يملك قوة خارقة تجعله يقسم فارساً وحصانه إلى نصفين بضربة سيف واحدة، وأيضاً أنه يتمكن من الظهور في أي معركة ويحقق النصر للمسلمين، ومن التنبؤات الموريسكية أيضاً أن سلطان الدولة الإسلامية في تركيا سوف يسترد الأندلس من يد النصارى(١٥٥).

الخاتمة

مما سبق دراسته يتبين لنا أن مسلمي الأندلس عاشوا فترة تاريخية صعبة في ظل الحكم النصراني عليهم بعد سقوط دولة الإسلام فيها. وأنه تم تسميتهم بالمدجنين عند بدء اندماجهم مع المجتمع النصراني، والذي كان من أهم سماته السماح لمسلمي الأندلس البقاء على دينهم. إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً بسبب سياسة الكنيسة الكاثوليكية المتطرفة التي أجبرتهم على التنصر وأطلقت عليهم مسمى "الموريسكيين" بالإضافة إلى سن مجموعة من القوانين التي تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية والتاريخية لهم.

---

(١٥٤) كارباخال: وقائع ثورة الموريسكيين، ج١، ص٢٢٦-٢٣١.

(١٥٥) عبد الرحمن: ثقافة موريسكي، ص ١١٢-١١٣.

ومن أهم النتائج التي أظهرتها الدراسة ما يلي:

١ -أن حركة الاسترداد النصراني في شبه الجزيرة الإيبيرية ((La Reconquista والتي نشطت في عام ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م وبمباركة بابويةهي حملات صليبية مرادفة للحملات الصليبية على المشرق الإسلامي مع اختلاف الموقع الجغرافي.

٢ -ظهر مع سقوط المدن الأندلسية في يد الممالك النصرانية جماعة من المسلمين لم يتمكنوا من الرحيل عن ديارهم فمكثوا تحت الحكم النصراني الذي كان في تلك الآونة يسمح ببقاء مسلمي الأندلس على دينهم وعرفوا بالمدجنين، واستمر ذلك حتى سقوط غرناطة عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م.

٣ -احترم الملكان الكاثوليكيان فرناندو وإيزابيلا شروط معاهدة التسليم ٨٩٧ه /١٤٩٢م لفترة وجيزة مما شجع الكثير من مسلمي الأندلس البقاء تحت الحكم النصراني وخاصة عندما تزامن ذلك بانتشار المجاعة والوباء في بلاد المغرب.

٤ -أن الفرق بين مصطلحي المدجنين والموريسكيين يكمن في أن المدجن كان يُسمح له أن يبقى على الدين الإسلامي مع الالتزام بقوانين الدولة النصرانية الحاكمة، وكان مُعترفاً بهم إلى سقوط غرناطة عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. أما المصطلح الآخر ظهر بعد سقوط غرناطة وانتشر بعد فرض التنصير القسري عام ٩٠٤ه/١٤٩٩م على جميع مسلمي الأندلس ولم يُسمح بعدها بالتدجن. واستمر وجود الموريسكيون في إسبانيا حتى تقرر طردهم في عام ١٠١٨ه/ ١٦٠٩م.

٥ -تم إلغاء بنود معاهدة غرناطة قانونياً من خلال استغلال ثورة مسلمي غرناطة عام ٩٠٥ه/١٥٠٠م التي اشتعلت بسبب تعميد الكنيسة لأبناء النصارى الذين اعتنقوا الدين الإسلامي أثناء حكم مملكة غرناطة الإسلامية، واحتجت الكنيسة في ذلك أن شروط معاهدة تسليم غرناطة شملت الآباء فقط ولم تشمل الأبناء.

٦ -اتبعت السلطات الإسبانية سياسة تعسفية ضد الموريسكيين رغم تنصرهم الظاهري بسبب فشلهم في تحويل الموريسكيين إلى نصارى مخلصين للكنيسة والدولة، ولحفاظهم في الخفاء على عقيدتهم الإسلامية.

٧ -نتج عن عدم ثقة إسبانيا في ولاء الموريسكيين منعهم من المشاركة في حروب الدولة التي خاضتها ضد فرنسا وهولندا وانجلترا والدولة العثمانية، خوفاً من تعاون الموريسكييون مع الدول الإسلامية المعادية لإسبانيا مما ساعد على ارتفاع نسبة الزيادة السكانية بين الموريسكين مع مرور الوقت وذلك لعدم مشاركتهم.

٨ -تنوعت التحديات الدينية التي واجهت الموريسكيين بدءً من صعوبة المحافظة على العقيدة الإسلامية في مواجهة وسائل التنصير المتعددة التي اتبعتها الكنيسة حتى مرحلة الاحتضار والدفن مروراً بتطبيق أركان الإسلام و تعاليمه في المناسبات الاجتماعية الهامة.

٩ -اعتمد الموريسكيون على عدة وسائل في مواجهة التحديات الدينية من أبرزها أن بعض الفقهاء الموريسكيين حملوا على عاتقهم مهمة التأليف في الردّ على معتقدات الديانة النصرانية والتدليل على زيفها، والبعض الأخر كان يناظر القساوسة لتحقيق ذات الهدف. بالإضافة إلى ان فقهاء غرناطة لم يدخروا وسعاً في الحصول على الأحكام الشرعية الصحيحة فراسلوا فقهاء المغرب للإجابة عن استفساراتهم الدينية. كما عقد بعضهم اجتماعات سرية لتعليم الموريسكيين أركان الدين الإسلامي وتحفيظهم القرآن وتقديم النصح والإرشاد لهم.

١٠ -ظهر أدب "الألخميادو" في المجتمع الموريسكي وهي عبارة عن مؤلفات دينية لشرح الإسلام مكتوبة بحروف عربية ولكن باللغة القشتالية. وكانت هذه المؤلفات

تخبأ في شقوق الجدران والسقوف والكهوف وفي أماكن سرية خوفاً من أن تجدها محاكم التفتيش.

١١ -نتج عن هذه الدراسة التأكيد على أن الوجود الإسلامي العميق في أرض الأندلس والذي امتد لثمانية قرون من الزمان وإن تم القضاء عليه سياسياً لم يكن من السهل اجتثاثه دينياً واجتماعياً.

خريطة (١). خريطة تبين التجمعات السكانية للموريسكيين في إسبانيا قبل الطرد عام١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م(١٥٦).

(١٥٦) انظر:https://Democracia Nacional.org

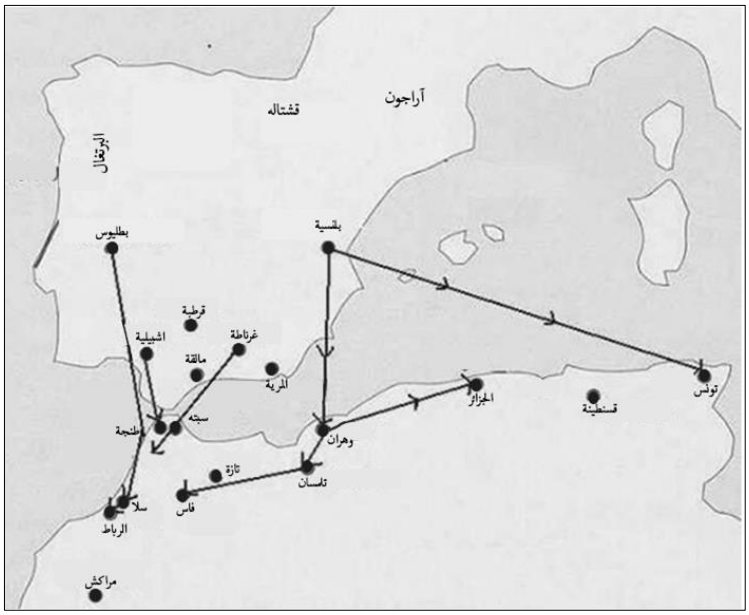

خريطة (٢). خريطة تبين مراكز تهجير الموريسكيين ومواطنهم الجديدة(١٥٧).

(١٥٧) انظر: http://www.efemeridespedrobeltran.com/es

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

[١] ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨ه): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م.

[٢] ابن الأبار، محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨ه): التكملة لكتاب الصلة، عبد السلام الهراس، لبنان، دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

[٣] الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.

[٤] ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٦٠م.

[٥] الحجري، احمد بن قاسم (ت بعد ١٤٦١م): ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق قاسم السامرائي وآخرون، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩٧م.

[٦] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ه /١٩٨٣م.

[٧] الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥ م.

[٨] الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠ه): صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

[٩] ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ه.

[١٠] ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦ه): اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م

[١١] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨ه): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م.

[١٢] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ): وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.

[١٣] ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م.

[١٤] العذري، أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨ه): ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م.

[١٥] الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، المشرف على التحقيق محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.

[١٦] ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك(ق٦ه/١٢م): تاريخ الأندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م.

[١٧] مؤلف مجهول: نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر وهو كتاب آخر أيام

غرناطة، تحقيق محمد رضوان الداية، دمشق، دار حسان، ١٤٠٤هـ.

[١٨] المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م.

[١٩] المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م.

[٢٠] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ): لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

[٢١] المواق، محمد (ت٨٩٧ه) و الرصاع، محمد (ت٨٩٤ه): الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق محمد حسن، بيروت، المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م.

[٢٢] الونشريسي، أحمد بن يحيى: أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق حسين مؤنس، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

[٢٣] الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد الحجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١ه/١٩٨١م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

[٢٤] أحمد، علي: "ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها"، المغرب، التاريخ العربي، ع٢١، ٢٠٠٢م.

[٢٥] أرسلان، شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

[٢٦] أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٧ه/ ١٩٩٧م.

[٢٧] بشتاوي، عادل سعيد: الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، القاهرة، الناشر المؤلف، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م.

[٢٨] بن جميع، محمد نجيب: الأدب الألخميوالموريسكي تأصيل لكيان، تونس، دراسات اندلسية، ع٣٠، ٢٠٠٣م.

[٢٩] بيانويبا، فرانثيسكوماركيث: أسطورة المؤامرة الموريسكيةالكبرى، ترجمة جمال عبد الرحمن، دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م.

[٣٠] ثيسار، نيكولاس كابرينا: مصدر لمعرفة تاريخ الموريسكيين محاضر اجتماعات المجلس البلدي، ترجمة جمال عبد الرحمن، دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م.

[٣١] جرجس، حبيب: أسرار الكنيسة السبعة، القاهرة، جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية، ١٩٤٣م.

[٣٢] الحجي، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ -٨٩٧هـ/ ٧١١ -١٤٩٢م، دمشق، دار القلم، ١٩٩٧م.

[٣٣] دُوزِي، رينهارت بيتر: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م.

[٣٤] الرحيلي، وفاء: تاريخ مدينة بلنسية السياسي من عهد المرابطين حتى سقوطها في يد النصارى ٤٩٥ -٦٣٦هـ/١١٠٢ -١٢٣٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة، ٢٠٠٤م.

[٣٥] رستن، جيمس: محاكم التفتيش في إسبانيا وسقوط الأندلس واكتشاف كلومبسلأمريكة، تعريب مُجير العمري، الرياض، دار السيد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م،

[٣٦] رمضان، عبد المحسن طه: الحروب الصليبية في الأندلس ميلادها وتطورها حتى القرن العاشر مع دراسة نقدية لمصادرها العربية والإسبانية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١م.

[٣٧] أبو رميلة، هشام سليم: علاقة الموحدين بالممالك النصرانية وبالدول الإسلامية في الأندلس، عمان، دار الفرقان، ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤.

[٣٨] السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، طرابلس، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م.

[٣٩] السحيمي، سليمان بن سالم: التعميد عند النصارى عرض ونقد، السعودية، مكتبة دار النصيحة، ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م.

[٤٠] الشطشاط، علي حسين: نهاية الوجود العربي في الأندلس، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١م.

[٤١] صالح، نادية مرسي: العلاقات الإسلامية المسيحية في إسبانيا عهد الملك ألفونسو الأول، مصر، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م.

[٤٢] طه، عبد الواحد ذنون: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٤م.

[٤٣] عبد الحليم، رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني امية وملوك الطوائف، القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ت.

[٤٤] عبد الرحمن، جمال: ثقافة موريسكي قراءة في المخطوطة ٩٦٥٤ بمكتبة إسبانيا الوطنية، دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م.

[٤٥] عبد الرحمن، جمال: رسالة موريسكية إلى العالم قراءة في مخطوطتين بمكتبة إسبانيا الوطنية، دراسات أندلسية وموريسكية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م

[٤٦] عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الاندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م.

[٤٧] كارباخال، مارمول: وقائع ثورة الموريسكيين، ترجمة وسام محمد جزر ومراجعة جمال عبد الرحمن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م.

[٤٨] الكتاني، علي بن محمد المنتصر بالله: انبعاث الإسلام في الأندلس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م.

[٤٩] كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن: القطوف الدواني في التاريخ الإسباني، مصر، الناشر المؤلف، ١٩٩٨م.

[٥٠] القاسمى، خالد محمد مبارك: العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٨م.

[٥١] لونغاس، بدرو: حياة الموريسكيين الدينية، ترجمة جمال عبد الرحمن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م.

[٥٢] لي، هنري تشارلس: العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ترجمة حسن الكرمي، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٤٠٩ه/١٩٨٨م.

[٥٣] مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، ١٩٩٣م

[٥٤] المطوي، محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م.

[٥٥] النشار، محمد محمود: تأسيس مملكة البرتغال، مصر، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م.

[٥٦] هورتز، أنطونيو دومينقيروبرنارد بنثنت: الموريسكيون حياة ومأساة أقلية، ترجمة عبد العال صالح طه، الدوحة دار الإشراق، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

[٥٧] Luis F. Bernabe Pons: *Los Moriscos. Conflicto, Expulsion y diaspora*, Madrid, Los Libros de la Catarata, 2009.

[٥٨] Luis E. Ninamango Jurado*: El Rey Fernando II de Aragon y el papa Alejandro VIAutores Intelectuales del peorCrimen de LesaHumanidad En La Historia*, Revista electronica digital runayachachiy, Berlín, 2014.

[٥٩] Mariana Kalaitzidou:*Traslados y expulsions.Piezasquesalieron y moriscosque no regresaron*,Granada, Escuela de EstudiosÁrabes, 2009.

[٦٠] 2016.Arenal: *After Conversion Iberia and the Emergence of Modernity*,Leiden, Brill, Mercedes García

رابعاً: مواقع الإلكترونية

[٦١] موسوعة ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org

[٦٢] https://Democracia Nacional.org

[٦٣] http://www.efemeridespedrobeltran.com/es

Religious Challenges for Andalusian Moriscosin the Centuries (10 -11 AH / 16 – 17 AD) Historical Study

Dr. Wafa Zabin Alrehily
Assistant Professor in History Department; Faculty of Arts and Humanities
King Abdul Aziz University

Abstract. By the end of the ninth century AH/ fifteenth century AD, the Kingdom of Granada fell, the last Muslim stronghold inIberia 897 AH /1492 AD.

Despite such political success achieved by the Catholic Kings, Fernando and Isabella, it was hard to eradicate the roots of the Islamic identity from the Andalusians' hearts, who could not migrate from their homeland, where they were born and raised. Muslims had to face huge challenges directed to their Islamic faith and the Andalusian heritage, which is an integral part of the great Islamic civilization.

Over time the crusading spirit grew in Spain and the Bishops worked hard to find gaps in the terms of agreement of delivering Granada to limit the rights of Andalusians and crush them. This resulted in the Granada Andalusians' revolution in 904 AH / 1499 AD, which was exploited to start Christianization and prohibitIslam in the country.

During that period, the Moriscos community appeared and officially announced their conversion to Christianity butconcealed their Islam.

They faced religious challenges to prevent them from practicing their Islamic rites.Investigation courts practiced kinds of controls and sanctions on them.However, they followed several ways to face those challenges, which made the Spanish authorities force them to migrate from Spain in1018 AH / 1609 AD, as they failed to convert them to true Christians.